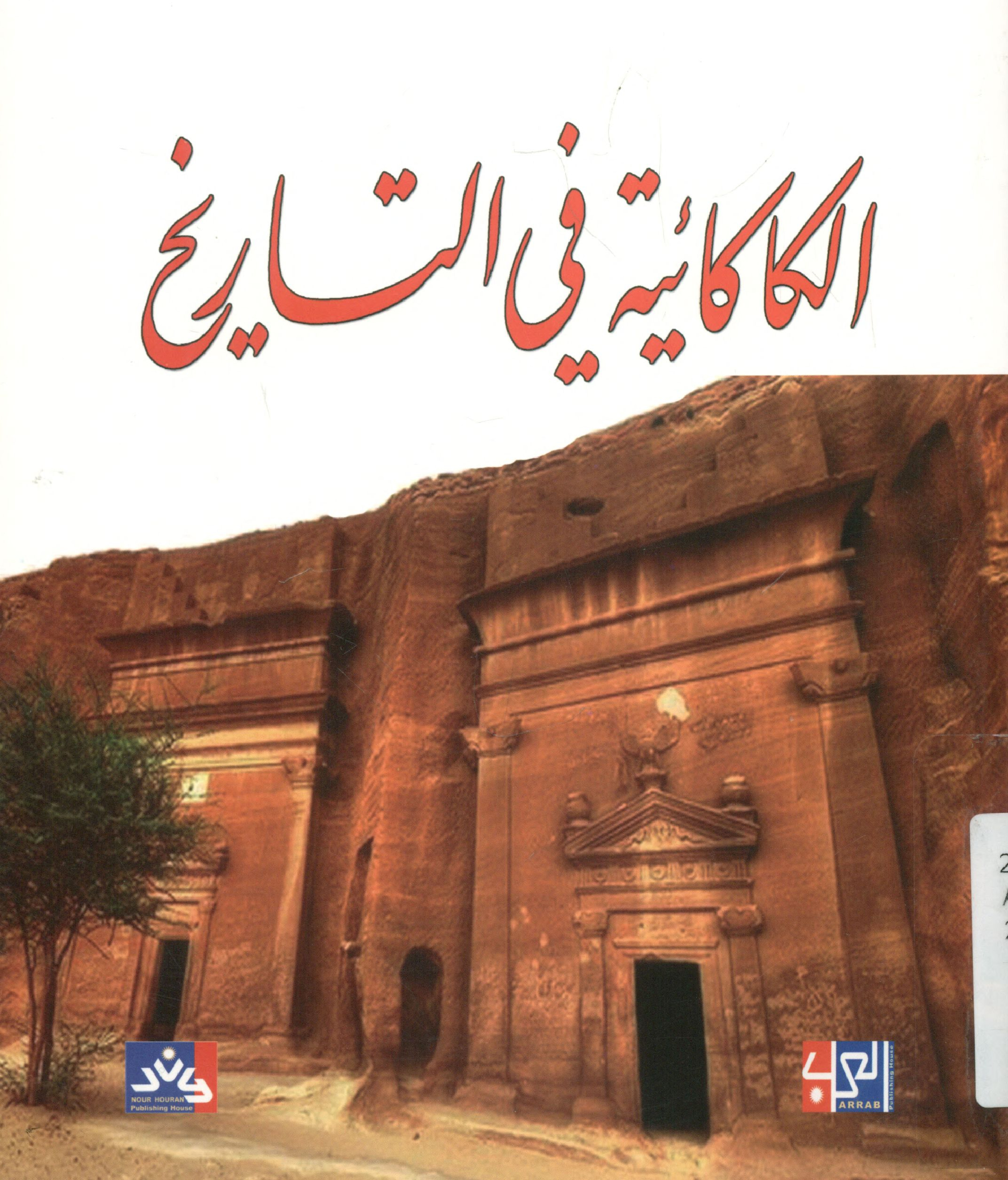
عباس العزاوي

الكاكائية في التاريخ



الكاكائية في التاريخ

الكاكائية في التاريخ

المحامي

عباس العزاوي

2016

ISBN 978-9933-543-05-1



دار العراب

للدراسات والنشر والترجمة

دمشق - سوريا - حلبوني الجادة الرئيسية

هاتف: 00963112247432

فاكس: 00963112247922

جوال: 00963942247432

00963933406321

00963940455593

daralaraab@yahoo.com



دار نور حوران

للدراسات والنشر والترجمة

دمشق - سوريا - ص . ب 5658

هاتف: 0096315715430

0096315710957

فاكس: 00963157198425

جوال: 00963933329555

00963941329555

NOURPUBLISHING@GMAIL.COM

المحامي عباس العزاوي

الكاكائية في التاريخ





دار العراب للدراسات والنشر والترجمة دار نور حوران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه

نظرة عامة

العقائد غريزية، لا تخلو أمة من دين وعقيدة وضروب العبادات المشهودة والرسوم الدينية في مختلف الأدوار والأقطار ظواهر تنبئ عن مكنون الفطرة، وميلها النفسي، وتصور حاجة الانقياد والإذعان للقدرة الخالقة.

ويهمنا كثيراً أن نتطلع إلى ما أظهرته الأمم والأقوام من شعور، وما كشفته عن مكنون الغرائز، وهناك نشاهد تدخلات من الزعماء ورؤساء الدين في تسيير الجماعات استفادة من هذه الغريزة وتوجيهها أو استغلالاً لما ظهر في رجالهم من الكمال، فاتخذوهم قدوة أو طريقاً مقبولاً في سلوكهم، بل مالوا إلى عبادة أشخاصهم، فصار ذلك ديناً، استولى عليهم الحب والإعجاب بهم، ثم وقفوا عندهم، فنسوا أصل العقيدة، أو غفلوا عنها، فصار الحب ديناً.

وجهودنا مصروفة إلى معرفة ما في قطرنا من عقائد وأديان وطرق، وإلى تصوير هذا الشعور، وتعيين أوضاعه وإبداء أشكاله؛ ليكون أقرب إلى تفهمنا بتدوين الظواهر ممن هم أكثر اتصالاً بنا دون أن نعرف جميع ما هنالك من عقائد الأمم والأقوام، بل قد يكون ذلك غير متيسر، أو صعباً جداً.

حاولت كثيراً أن أرفع اللبس والإبهام عن نحلة معروفة في أنحائنا، كثرت فيها الأقوال وزادت التقولات أعني بها (الكاكائية) لما يحوطها من لبس وغموض، ولا يزال أهلوها في تكتم وتخفٍّ، وطالما شاع عنها أمور، أو كثرت تشنجات، فلم نكلف أنفسنا التحقيق عن صحتها، فزلت أقدام، وتاهت في خيالات وأوهام، حاولت أن أزيل الغموض عنها ما استطعت، فراجعت جماعة من أهل هذه النِّحلة، والتمست

آثارها وتحريت قدر المستطاع تاريخها فتيسر مجموع لا أرى أن أطرحه جانباً أو أهمله، ولعل فيه ما يُميط اللثام عن بعض الغموض.

كانت قد دخلت العراق عقائد كثيرة، أو تكونت فيه، فبحث العلماء من القديم عنها، فلم يتركوا قولاً لقائل، ولكن جمود الفكرة في الأيام الأخيرة وانحطاط البحث العلمي، وركود التحري حال دون الدوام، وأدى إلى إغفال هذه المعرفة المستمرة عند كل تجدد يطرأ، أو تبدل يحدث، ونشأت عندنا طرق أو نحل جديدة لا يدرى وجه اتصالها بماضيها وما صارت إليه من تطور، وتباعد، فعدنا لا نستطيع أن نعرف أكثر من اسمها، ونكتفي بقولنا: (متكتمة)، أو أن أربابها يدعون أنها (سر) لا يجوز لهم أن يبوحوا به.

وهذه النِّحلة لا تقل اهتماماً عما يتطلع إليه من أمر (اليزيدية) سواء في غرابة عقائدها أو غموضها وإبهامها فهما على طرفي نقيض في الاتجاه.

فأريد أن أتناول ما يعيِّن مكانتها التاريخية، وتطورها، وسائر أوصافها بقدر ما تسمح الوثائق، والعراق يجب أن نعرف أقوامه، وتقاليد شعوبه، وعقائد أهليه، لئلا تبقى فيه خواف، أو مجهولات لا عذر لنا في تركها أو جهلها بداعي أن أربابها لا يبوحون بسرٍّ، فالعجز مزرٍ فيما تستطيع القدرة الوصول إليه، وإذا كان يعذر قوم بالجهل، فنحن بين ظهرانيهم فلا ينبغي أن نغفل أمرهم وندون على أنفسنا هذا الجهل، أو نسجل العجز.

وعلى كل رأيت أن أتناول هذا الموضوع، وأحاول النجاح فيه، وإن كان غير مكفول فإذا كان ما أقدمه رغبة الأفاضل، فذلك المأمول، وعمل المرء لا يخلو من نقص، وما لا يدرك كله لا يترك جلّه، دونت ما عرفته، وأنا في حالة تثبيت المادة، وقد صعّب المهمة أنني لم أجد من كتب فيها في هذه الأيام بصورة مفردة مستقلة مستندة إلى أصل علمي، رغبتي مصروفة إلى رفع الغموض ما استطعت، وليكن أول جهد، تضاف إليه جهود أخرى متوالية، وتتبّعات جديدة من كتابنا حتى ينضج، ويتم المطلوب، وقد قضى ما عليه من بلغ الجهد، ومن الله التوفيق.

الكاكائية إجمال عنها

هذه النِّحلة مشهورة الاسم، مجهولة الرسوم والتقاليد، بل هي (عدوة الرسوم) غير معروفة التعاليم، أو المعالم، ولا يمر باحث أو سائح بلواء كركوك إلا يعلم أن هناك طائفة (الكاكائية)، ولا يكاد يسأل عنها إلا ويسمع التشنيع عليها والتنديد بها ممن لم يكونوا منها، ولكنهم يعلنون أنهم مسلمون، وغالبهم منتشر في أنحاء كثيرة في العراق أو مجاور له، ولا نشاهد لها ظواهر يصح أن تنسب إليها، أو تعرف بها.

ولفظة (كاكائية) كردية مأخوذة من (كاكا) بمعنى الأخ، والنسبة إليها (كاكائي) والنِّحلة يقال لها (كاكائية)، يقولون في سبب تسميتها: إن أحد رؤسائها المؤسسين لها كان من السادة البرزنجية في أنحاء السليمانية، فبنى تكية في قرية برزنجة وضعت لسقفها العمد، ولكنها قصرت عن جدران البناء، فقال لأخيه: مدها أيها الأخ (كاكا) ومن ثم مدها فطال الخشب كرامة له، وصاروا يدعون بـ (الكاكائية) لهذه الحادثة.

وهذا قد يقصد منه التعمية، أو تشويش الغرض، أو يكون السبب النسيان، وفقدان التوجيه الصحيح، في حين أنها يراد منها على ما علمناه من نصوص كثيرة أنها (الأخية) الطريقة المعروفة في بلادنا، وفي إيران وفي الترك، وتنسب إلى (أخي) وأصلها أن كل واحد من أرباب هذه الطريقة يدعو الآخر من جماعته بـ (أخي) بالإضافة إلى ياء المتكلم، ويعنون أن أصحاب هذه الطريقة إخوة، وأصلها التمسك بآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]. والسير بمقتضى هذه الطريقة، وعلى كل تستند إلى أصل أنها (طريقة الفتوة) يتصلون بها، والعلاقة محفوظة كذلك.

وفي العراق شاعت عندنا في العصور الأخيرة، وصارت تعرف بلفظها الكردي (كاكائية)، وكانت تستعمل في العراق بلفظها العربي (أخي)، ولا تزال في كركوك محلة تدعى بـ (أخي حسين) ويعرفون بالأخية من أيام المغول، وجاءت أعلام

أشخاص معروفة بـ (أخي فلان)، ويرجع ذلك إلى عهد المغول، و(كاكائية) عرفت في العصر المغولي منذ العصر السابع، وردت في النصوص التاريخية مثل مبارز الدين كك، وحسام الدين كك، ولم نر ما يتجاوز العصر السابع في القدم، ولم نعثر على نص سابق لهذا التاريخ كطريقة معروفة بهذا الاسم.

عرفت كنحلة في القرن العاشر والحادي عشر الهجري وصل إلينا خبر عنها أيام البرزنجي، ومن قبله صاحب (كتاب النواقض[1])، ولا يقطع بتاريخ ظهورها كعقيدة بهذا الاسم، كانت معروفة قبل هذا التاريخ بشكل طريقة صوفية.

وقبل هذا وذاك تعرف بـ (الفتوة) مذكورة في طبقات الصوفية وكتاب (الفتوة للسلمي)، وفي رسالة القشيري، وفي مؤلفات كثيرة، وشاعت في العراق أكثر أيام الخليفة الناصر، ولما كانت (مبادئ الفتوة) تستدعي أن يكون أتباعها (إخوة)، وكل واحد يدعو الآخر بـ (أخي)، شاعت بأشهر وصف لها سواء بلفظها العربي أو الكردي، فصارت تدعى بأعم أصولها أو أساساتها، فقيل: (أخية) أو (كاكائية)، وأهمل لفظ الفتوة.

وفي هذا ما يعيِّن مجراها التاريخي المعتاد بصورة مجملة، وهنا نقول: هل حافظت على سيرتها الأولى كما حافظت على موضوعها ووصفها؟ وبماذا كانت تعرف قبل هذا؟

المسألة فيها نظر، لما أصابها من تحول وتطور فعادت لا تشبه أصلها، ولا هناك تقارب، بمباحث تكشف عما لحقها من التطورات والتحولات، ولا يكفي هنا الإجمال، وإنما يهمنا الإيضاح وإن كانت الإشارة تغني المتتبع، والقراء ليسوا بمثابة واحدة، كما أن تطور حالاتها المختلفة مما أبعدها عن أصلها، فلم تحافظ عليه كثيراً، أو لا يصح أن ترجع الآن إلى ما نجمت منه مما أبعد شقة التقريب، صار لا يلتفت إلى وجهة الاتصال بسهولة، فكان تدقيق تاريخها بتطوراتها أمراً لازماً ومهماً جداً.

---

[1] يأتي الكلام عليه.

لا يعرف عنها اليوم أكثر من التغني ببعض الأشخاص المشاهير، والاحتفاظ ببعض أشعارهم مما يسمى عندهم بـ (أنفاس)[2] أو (بويروق)، خرجت عن أصل الطريقة، والباحث مهما توغل في التحقيق، أو اتصل بأهليها لا يستطيع أن يصل إلى نتيجة، ولا يجد آثاراً كافية للتتبع، عاشرت أهليها، وصاحبتهم مدة، وتذوقت ما عندهم من شعر، وعلمت ما يشغل أفكارهم من آراء تصوفية، وأشعار لاذة تندمج تحتها، وتنطوي خلالها آراء تلك الطريقة أو النِّحلة.

والحاصل صاحبت كثيرين منهم، وصرت ألحظ معقداتهم في مختلف العصور أثبت ما وجدته لمعرفة تاريخ هذا التطور، وهؤلاء لا يودون الاحتكاك بالمجتمع ولا الترغيب إلى المعتقد ولا الدعوة له، بل اعتراهم الخمول لمدد متطاولة فأدى بهم إلى نسيان الكثير، ولم يحتفظوا إلا بأساسات قليلة يفسرها ما في كتب التصوف، وفي ذلك ما يعيِّن أنهم لم يظهروا علناً ووقفوا عند حدودهم، فلم يتجاوزوا الأمر إلى التبليغ والدعوة، وهو الحل الوحيد لتكتمهم.

فإذا أضيف إلى ذلك ما لاقوه في سبيل الاحتفاظ بنحلتهم من وقائع مؤلمة علمنا درجة ما التزموه من الاختفاء، فأدى الضغط إلى التكتم الكثير، وما حوادث (الطالبانية)[3] عنا ببعيدة، يخشون الإفشاء إلى حد ما بحيث صارت الظنون تتضارب، وتزيد التقولات كثيراً وتحوم حولهم الأوهام والشبهات، كما نرى نفس التكتم في (اليزيدية) وأرباب المبادئ الضعيفة السائرة للانقراض، وهذا ساق إلى الجهل بالعقائد لمن عاش في قطرنا، فصرنا نتلمس الطرق الكثيرة للمعرفة الصحيحة، فلم نجد إلا بعض الظواهر.

---

[2] يراد بها المقطوعات الشعرية التي ينطق بها شيوخهم من شعر تصوفي. وهي من مختاراته.

[3] رؤساء الطريقة القادرية في تلك الأنحاء، راجع العشائر الكردية في العراق. ص228.

أقوال المعاصرين في الكاكائية

هذه النِّحلة مشهورة في العراق، دونت فيه آثار الكثيرة منذ العصر العباسي، وكانت تدعى (الفتوة)، انتشرت في الأناضول باسم (الأخية) انتشاراً هائلاً، وكذا في أقطار أخرى، وشاعت عندنا بهذا الاسم أيضاً من طريق الترك، ومن طريق إيران، ثم تحولت إلى (كاكائية)، فهي معروفة من أمد بعيد، ونحاول أن نتحرى أوضاعها، وتاريخ ظهورها في العراق بعد أن نسير بنظرة سريعة ما قاله المعاصرون، ثم نرجع إلى الماضي البعيد والقريب لتحصل لنا فكرة عن (الكاكائية في التاريخ) ومن هنا تتعين فكرتنا فيما نعلمه.

1- جاء في مفصل جغرافية العراق ما نصه:

قبيلة الكاكائية خاضعة لنفوذ السادة البرزنجية، تسكن الساحة الواسعة بين جبل برادان، وخاصة جايي (جدول خاصة)، وتعيش على الزراعة، وعدد بيتها يبلغ زهاء ألف وخمسمئة بيت. انتهى[4].

والبرزنجية في أنحاء السليمانية وساداتهم ينتسبون على قرية برزنجة[5]، ولهم قرابة قديمة مع السادة رؤساء الكاكائية، إلا أن المعتقد متغاير، ولا تزال بقاياهم في السليمانية في (خويلة) إلا أن الكاكائية لم تكن قبيلة، وإنما هي نحلة، بل طريقة، كانت واسعة النطاق.

2- قال شمس الدين سامي في قامس الأعلام في مادة أخية (كاكائية):

ظهرت هذه الطائفة (النِّحلة) في أواخر الدولة السلجوقية وفي الأناضول، كانوا في الأصل من طرق التصوف، ولهم رئيس من أنفسهم يدعو للإخاء البشري، يحض على التعاون بينهم وبين سائر الناس، وبعد ذلك واجباً مترتباً، استمروا على هذه

---

[4] مفصل جغرافية العراق لفخامة الأستاذ السيد طه الهاشمي، ص442.

[5] عشائر العراق الكردية.

الطريقة مدة، يراعون فيها سلوك الدروشة (التصوف) مكتفين بذلك، ثم نهض بعضهم بأمل أن يؤسس حكومة في (الأناضول) استفادة من تزلزل وضع السلجوقية واضطراب حالتها، فتكونت منهم بعض الحكومات الصغيرة في أنحاء أنقرة وسيواس، وإن السلطان مراد الخداوندكار العثماني تغلب عليهم ودمرهم، واستولى على ممالكهم الواحدة تلو الأخرى، فدخلت في حوزته. انتهى[6].

ولا يزالون يلهجون بفكرة الإخاء حتى اليوم، ولا نجد آثاراً عملية واضحة في ذلك وإن كانوا متراصين متكاتفين فيما بينهم، والملحوظ أن الأخية هنا يراد بهم (الكاكائية) قطعاً.

دخلتهم بلا ريب أيام الخليفة الناصر لدين الله العباسي، كان تزوج باللهجة السلجوقية ولما توفيت بني لها رباطاً بجانب تربتها، عرف أخيراً بتكية خضر إلياس البكتاشية، فانتشرت هذه الطريقة عند سلاجقة الروم، واشتهرت بأهم وصف لها وهو الأخوة.

3- جاء على الأخية (الكاكائية) في كتاب (لغات تاريخية وجغرافية) ما ترجمته:

« الأخية سلكوا (طريق الفتوة) وعقدوا الأخوة، فكان لقبهم (الأخية) وهم طائفة (نحلة) معروفة، كانوا داخل الأناضول، والتزموا طريقة صوفية، وستروا أحوالهم عن الأغيار، واشتغلوا بالطاعات والعبادات، وصاروا يمدون أبناء جنسهم بمعاونات ومساعدات، هذا كان دينهم. انتهى[7]».

هذه النصوص مجملة لا تبين سوى وضعهم الظاهري والسياسي، ولم تقرر حقيقة طريقتهم، أو نهج تصوفهم، إلا أن النص الأخير عين أنها (طريق الفتوة) وعقد الأخوة، فبصر بأصلهم نوعاً، وفي العراق يدعون أنهم على هذا لطريقة، وأنهم أصحاب الإخاء البشري، وكثيراً ما أسمع من الأديب الشاعر هجري دده أنه يرمي إلى ما يقرب من هذه الأغراض إلا أن الطاعات والعبادات غير مشهودة فيهم.

---

[6] قاموس الأعلام، ج2، ص802.

[7] لغات تاريخية وجغرافية، ج1، ص106.

ومن ثم يجب أن نرجع إلى الكتب التي تعني بـ (الفتوة)، وكذا نلاحظ المدونات عن (الأخية)، والنصوص التاريخية الموضحة لإحدى الجهتين، وبهذا نميط اللثام عن محيا حقيقة هذه النِّحلة، فنجمع ما رأيناه مشتتاً ونؤلف ما كان مفرقاً مبعثاً في بطون الكتب، ونقابل ذلك بها عند هؤلاء (الكاكائية) الموجودين بين ظهرانينا.

ونشير هنا إلى أن هذه النِّحلة توسعت في الأناضول قبل أن تتكون الحكومة العثمانية وتكاثر أتباعها لاسيما أواخر الدولة السلجوقية، بل من أيام الخليفة الناصر لدين الله كما تقدم، فانتشروا، وزاد خطرهم، وكثرت ثوراتهم، لما رأى الناس من غوائل، وقاموا على الدولة السلجوقية، وشوشوا أمرها، وكان أثرها على العوام كبيراً جداً، ذاعت بين الجماهير كسائر الطرق العديدة، ذلك ما دعا أن نلتمس (تاريخ الفتوة) أولاً، ثم (تاريخ الأخية)، وبعد ذلك نعين مكانتها في العراق باسم (الكاكائية) فنوضح تاريخها، وما حافظت عليه من طريقة، أو احتلال واضطرب فيها.

ويتبادر إلى أذهاننا أن هذه هل كان أصلها في الأناضول فانتشرت في الأطراف الأخرى، أو في العراق أصلاً أو في قطر آخر فوجدوا تربة صالحة لنموهم في العراق؟.

نريد أن نعرف ذلك، وليس الموضوع محل تفاخر في القدم والتقدم في الزمن، ومدار البحث المعرفة، ولا يهمنا (شرف المنبت)، نحاول أن نقف على محل ظهورها وانتشارها، ونعين مكانتها اليوم عندنا، فيكون جوابنا اليوم تعريفه بحقيقة هذه الطريقة، وبما عرض لها، ودرجة تأثرها بالمجاورين حتى اكتسبت حالتها المنشودة.

هذا، ونلخص ذلك بقدر الإمكان، ونورد النصوص، وتتصل بالغرض اتصالاً مباشراً فندرك أوضاع أهليها، ومكانتهم التاريخية، وأثرهم السابق، وما هم عليه في الحاضر إلا أن مباحثنا لا تتجاوز حدود الإيجاز.

الكاكائية في التاريخ

1- الفتوة:

شاع في هذه الأيام ذكر (الفتوة)، ولا يدري كثير ونأصلها، ولا كيفية تولدها في الماضي، لاكتها الألسن، ومن الضروري إيضاح مدلولها في مختلف العصور لاسيما بعد أن علمنا أنها أصل (الكاكائية) وبالنظر لتلقياتها الحاضرة بفرق بين معناها في الماضي وفي الحاضر باعتبار أنها كانت (طريقة تصوف)، من شأنها تدريب المرء على العمل الصالح وتنشيطه في الإغاثة والمساعدة لمن يحتاجها.

كان الصوفية في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم لا يعرفون غير الزهد، والعمل الصالح فلا رسوم ولا مراسيم، وأنظارهم متفاوتة فيه فظهر أكابر منهم نالوا المكانة اللائقة، واكتسبوا المحل الرفيع في القلوب، ولم يكن طريقهم أكثر من القيام بواجبات دينية وأعمال صالحة كالعبادات وأعمال البر والخير، ثم تغلبت مؤخراً أمور الزهد وحدها والانقطاع إلى العبادات خاصة، وكاد الصوفية يكونون عالة وكلا على الناس، فراج سوقها فيمثل هذه، ثم دب الغلوّ، ودخلت (الفلسفة التصوفية) أو (النحل الباطنية) فأفسدت صفوة العبادة، وأدخلت فيها عقائد زائغة.

في هذا الوقت جلب الأنظار ودعا إلى الالتفات صنف آخر أهب نفسه للعمل، وسعي لمعاونة المنكوبين والمعوزين أو إنقاذ من تعرض لخطر كبير، وجعل طريقته (الفتوة) نشاطاً فيما يضع، أو يعود بالخير العميم على المجتمع، تحقيقاً للأغراض المقصودة من آية ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة العصر: 3].

وخير الناس من ينفع الناس، فكان هذا الصنف صاحب عزم وحزم، كأنه شاب وإن كان كهلاً أو شيخاً، لا يتردد من إسداء المعونة والقيام بعمل البر، لا يبغي

وراء ذلـك ربحـاً أو نفعـاً سـوى رضـوان الله تعـالى، واكتـساب الأجـر، ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [سورة الإنسان: 9].

وصـار يطلـق عـلى هـؤلاء (أهـل الفتـوة)، وأساسـهم الأخـوة الدينيـة، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سـورة الحجـرات: 10]، والحـب في الله ومراعـاة الخـير في سـبيله، أو العمل الصالح.

والحـق أن هـذه الطريقـة قامـت بـأعمال بـاهرة، كـان حـث الإسـلام عليهـا تنفيـذاً لأوامـره، وهـي طريقـة إسـلامية نافعـة في سـلوكها، ومـن واجـب كـل مـسلم أن يقـوم بهـذه الأعـمال، وكانـت دعـوة هـؤلاء دعـوة إلى القـرآن، وأوامـره، واجتنـاب نواهيـه، فكانـت لهـم الميـزة في هـذه الأوصـاف الدينيـة المرغـوب فيهـا، حـصروا مـشاغلهم بهـا وقـصروا جهـودهم عليهـا، وهـذا منتهـى الزهـد الرضـا، وأقـصى حـدود العبـادة المقبولـة، والبـذل في سبيله تعـالى! ولم يقـصروها عـلى العمـل لأمـور المـسلمين، بـل إنقـاذ كـل مـن وقـع في ورطـة، أو مـساعدة كـل مـن كـان في حاجـة إلى المـساعدة، وفي آيـة﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سـورة آل عمـران: 92]، والجهـود المبذولـة خـير جهود وأجل ما ينفق، وكان فعل الخير شأن هؤلاء (عمل الصالحات).

يـرى الفتـوة في أقـدم أزمانهـا نـشاطاً فيزهـد، وعمـلاً مـبروراً في مـساعدات عظيمـة لمـن هـو في حاجـة وضرورة إليهـا دون تفريـق بـين طبقـات النـاس، ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [سورة المائدة: 2].

وفي حـالاتهم هـذه لم يتهـاونوا في العقيـدة ولا في العبـادة، وعمـل الخـير عبـادة ولا يؤدي إلى الاكتفاء به دونها.

ومـن أشـهر رجالهـا الـساعين لنـشرها، والـدعوة إليهـا (الـشيخ عبـد الـرحمن الـسلمي)، أقـام صرح هـذه الطريقـة، وكـان مـن أكـابر رجالهـا، وقـدوة العـصور التاليـة،

التفت إلى ناحية عملية في الشريعة الغراء هي الأولى بالرعاية من سائر الطرق التي من شأنها أن تجعل المرء عاطلاً، والعطالة أمر سهل بوسع كل أحد أن يتولاها، ولكن المشقة كل المشقة في عمل الخير، فكان لهذه الطريقة نتائج عملية طيبة، إلا أنها لم تكن وحدها الدين، وإنما هي مطلب من مطالبه (عمل الخير)، وهكذا (القشيري) في رسالته عقد فصلاً خاصاً بها مهماً جداً في تفهم موضوعها وتعريفها[8]، وجميع الصوفية يثنون على طريقة الفتوة ثناءً طيباً.

[8] الرسالة القشيرية، ص121 ، أبو القاسم عبد الكريم الشقيري المتوفى سنة 465 هـ.

الفتوة في عهد الناصر لدين الله الخليفة العباسي

دامت الفتوة إلى أيام الخليفة الناصر لدين الله تتجاذبها الأهواء والآراء، ونالت تطورات كثيرة وكأنها طريقة جديدة، لم تكن من واجب كل مسلم، بل نرى الإسلام قائماً على أساسات مهمة رأت هذه الطريقة لزوم متابعة بعضها، والخليفة الناصر لدين الله أراد أن يوجهها وأن يستغل وضعها السياسي وميل الناس إليها، فأيدها، وأكبر شأنها، فزادت عنايته بها، ونظم شأنها، فكانت تؤخذ عنه (سراويل الفتوة) وتعاليمها، فصارت طريقة لها رسوم وأحكام، ومؤرخون عديدون في العراق تعرضوا لذكرها في أيامه.

قال ابن الأثير: « وجعل - الخليفة الناصر - همه رمي البندق، والطيور المناسيب، وسراويلات الفتوة، فأبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل يدعى إليه بها، وليس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة، وكذلك أيضاً منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره، ومنع الرمي بالبندق إلا من ينتمي إليه، فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور. انتهى[9] ».

وهكذا ذكر أبو الفداء[10] وابن الطقطقي في كتابه (الفخري)[11]، وأوسع من تلك في ذلك صاحب مسالك الأبصار قال:

«وفي شوال هذه السنة- سنة 922هـ- كانت وفاة الخليفة الإمام الناصر لدين الله، وكان عمر الناصر لدين الله نحو سبعين سنة، ومدة خلافته 47 سنة، وعمي في آخر عمره وكان موته بالدوسنطاريا، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً، خرب في

---

[9] ابن الأثير: الكامل، ج12، ص181.

[10] أبو الفداء في وقائع سنة 607 هـ.

[11] الفخري. ص287.

أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وكان يتشيع وهو منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسيب، ويلبس (سراويلات الفتوة)، ومع (رمي البندق) إلا من ينتسب إليه فأجابه الناس إلى ذلك إلا إنساناً واحداً يقال له (ابن السعب)، وهرب لذلك من بغداد إلى الشام، وقد نسب على الإمام الناصر أنه هو الذي كاتب التتر، وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين (خوارزمشاه محمد بن تكش) من العداوة لشغل خوارزمشاه بهم عن قصد العراق. انتهى».

وفي ابن الفرات: ... وأجابه الناس بالعراق وسائر الأمصار إلى ذلك ما خلا رجلاً واحداً (هو المذكور أعلاه) رامياً بالبندق من أهل بغداد، فإنه امتنع من إجابته، وهرب من العراق ولحق بالشام، وأرسل إليه الخليفة يرغبه بالأمور الجزيلة ليرمي عنه وينسب في الرمي إليه، فلم يفعل فأنكر ذلك عليه بعض الناس فقال: يكفيني فخراً أنه ليس في الدنيا أحد إلا يرمي عن الخليفة إلا أنا. انتهى.

وفي الجامع المختصر لابن الساعي:

« في هذه السنة – 604 هـ أهدرت الفتوة، وجعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله (رضي الله عنه)القبلة في ذلك والمرجوع إليه فيه، وكن هو قد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه، فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام وسأل ملوك الأطراف الفتوة، فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة وانتشر ذلك ببغداد، وتفتي الأصاغر إلى الأكابر، وقرأ المنشور عليهم المكين أبو الحسن حمد بن محمد القمي. انتهى[13]».

وفي تقويم التواريخ:

إن الناصر الخليفة اكتسى لباس الفتوة من الشيخ عبد الجبار. انتهى[12].

ومن المؤلفات برسم الناصر لدين الله:

---

[12] تقويم التواريخ: سنة 578هـ.

[13] الجامع المختصر لابن الساعي. ص223.

1- النـور اللامـع، في خزانـة أبـا صـوفيا رقـم 231، وفي خزانـة كـوبريلي رقـم 861 ومؤلف نجم الدين منكوبرس بالنقلج (بالبنقلج) التركي الإمام الناصري.

ولـه الحـاوي في الفـروع، ذكـره في كـشف الظنـون، وقـال لـنجم الـدين أبي شـجاع وأبي الفـضائل بكـبرس التركـي الحنفـي المتـوفى سـنة 652هــ، وجـاءت ترجمتـه في قطلوبغـا في (تـاج الـتراجم)، وفي منتخـب المختـار في ص 46 ممزوجـة بترجمـة بيـبرس العـديمي المتـوفى سـنة 713 هــ، بحلـب (المـذكور في الـشذرات، ج6، ص32 ومثلـه في السلوك، ج2 قسم 1 ص132 والدرر الكامنة، ج1، ص501).

وأمـا منكـوبرس فإنـه ابـن عبـد الله التركـي النـاصري أبـو الفـضل وأبـو شـجاع الحنفـي الفقيـه الأصـولي، ويعـرف بـنجم الـدين الزاهـد وبالحـاجر قـول الإمـام النـاصر لـدين الله كـما في منتخـب المختـار، وجعلـت ترجمتـه في الجـواهر المـضيئة، ج1، ص170 فكانت متداخلة مع غيرها سهواً.

وغالـب الآخـذين لهـذه الطريقـة ينتمـون إلى الـشهاب عمـر الـسهروردي، وطريقتـه طريقة الفتوة شاعت من طريق أهل السنة، وعرفت باسمه وأغفل أمر الفتوة.

2- رشف النصائح للسهروردي، رد به على الفلسفة المادية اليونانية.

3- وله رسالتان في الفتوة.

4- تحفـة الوصـايا، ي الفتـوة ألفهـا أحمـد بـن إليـاس النقـاش مـن حـرتبرت (خربـوط) في الأناضـول، وفيهـا يـذكر سلـسلة الفتـوة مـن الإمـام عـلي إلى الخليفـة النـاصر العباسي، قال في مقدمتها:

« أحـزاب الفتـوة كـانوا تـائهين، سـلكوا طريـق الـضلالة، وحـادوا عـن سـبيل الهدايـة وتـأولوا للفـتن والابتـداع والحيـل والاختـداع، غلبـت علـيهم الـشقاوة، وتحكمـت في بـواطنهم الـضلالة، وكثـر مكـرهم، وقلـت معـرفتهم، بأحكـام الفتـوة، ومـالوا إلى المكـابرة والمجادلـة إلى أن شرف الله تعـالى الفتـوة وكرمهـا، وأعـلى منارهـا وعظمهـا (بـسيدنا)، النـاصر لـدين الله أمـير المـؤمنين، إمـام المـشارق والمغـارب، لا إمـام للمـسلمين

سـواه، ولا قبلـة للـدين إلا إيـاه، فـشي بنيانهـا ونهـد أركانهـا، وألـف أحزابهـا، وأرشـد طلابها، أظهر أنوراها، وأوضح برهانها.

فبطلـت (البيـوت) إلا مـا شـيده، وتعطلـت تلـك المعاقـل إلا مـا اختـاره واصـطفاه، فانتـشر (علـم الفتـوة) بعـد أن كـان منتكسـاً، وتميـزوا عـلى مـن سـواهم مـن (أزاب الفتـوة) بعد أن كـانوا فرقـاً، ففـرض العبـد الفقـير (أحمـد بـن إليـاس النقـاش) عـلى نفسه نظـم هـذه التـذكرة، وانتخـب مـن التـآليف الجـواهر، والـدرر والنـوادر، والغـرر، برسـم وفـاق أمـر سـيدنا ومولانـا الملـك المعظـم، أبي الحـسن (عـلي) نجـل، أمـير المـؤمنين خلـد الله ملكـه، فانتخـب مـن كتابـه المـسمى (عمـدة الوسـيلة) هـذه التـذكرة ليقـرب تناولـه ويـسهل حفظه، ويخف درسه، وسماه (تحفة الوصايا). انتهى[14]».

وفي هـذا مـا يعـيِّن اضـطراب الأفكـار فيهـا بـين متـصر لهـا أو نـاقم عليهـا، وتنـوع اتجاهاتهـا حتـى سـيرها الإمـام النـاصر عـلى نهـج، وعـلى كـل حـال كـان يعـد مـن المجـددين لهـا، والمـصلحين لطريقتهـا، ومـن هنـا نعلـم أنهـا كانـت منتـشرة في أنحـاء العـالم الإسـلامي ودخلها ما يدعو للنفرة منها، وقد استغلها كثيرون.

والاتـصال بـسلاجقة الـروم مـشهود في الـرواج وفي المؤلفـات في الفتـوة وقبولهـا مـن الخليفـة، والمـضي بموجبهـا، فتأسـست عنـدهم وتمكنـت لـديهم، والربـاط الـسلجوقي في بغـداد مـن تلـك المؤسـسات للفتـوة وكـان مـن رجالهـا الـشيخ عمـر الـسهروردي، بـل مـن أكابر شيوخها.

وبعـد الخليفـة النـاصر دام الانـتماء إلى الفتـوة مـن كثـيرين مـن المـشاهير حتـى آل إلى آل معية، ووصل الأخذ إلى السيد تاج الدين محمد النسابة قال في عمدة الطالب:

« كـان يتـولى (لبـاس الفتـوة)، ويعتـزى إليـه أهلـه، ويحكـم بيـنهم بـما يـراه فيطيعـون أمـره، ويمتثلـون مرسـومه، وهـذا المنـصب مـيراث لآل معيـة، وينقـسم النـاس بـالعراق أحزابـاً، كـل ينتمي إلى أحـدهم، فلـما مـات النقيـب فخـر الـدين بـن معيـة والنقيـب نـصر

---

[14] أيام صوفية رقم 2049: تحفة الوصايات في مجموعة بهذا الرقم.

الدين بن قريش بن معية لم يبق له – للسيد تاج الدين – معارض، ولم يكن عوام العراق ولا خواصهم ليسلموا ذلك الأمر إلى أحد من غير آل معية ما دام من هم أحد فكيف بالنقيب تاج الدين، وكان إليه إلباس خرقة التصوف من غير منازع في ذلك لا يلبسه أحد غيره أو من يعزي إليه وتوفى بنات. انتهى[15]».

وفي روضات الجنات تكرار ترجمته[16].

وهذه طريقة متصوفة الشيعة الآخذين بالفتوة السائرين عليها كما أن السهروردية جاءت من طريق أهل السنة.

فتكون انتشرت من طريق أهل السنة وأهل الشيعة معاً، وهي حث على عمل الخير، بما يشمل النصرة والمساعدة، والعبادة والتقوى، وهذا ليس محل خلاف أو اختلاف.

ومن المؤلفات المهمة مجموعة رأيتها في إستانبول في خزانة أيا صوفيا برقم 2049 تحتوي على:

1- لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، أوله: الحمد لله الذي جعل لباس للفتوة واضح الملاحب... إلخ، عرف الفتوة بتعاريف كثيرة، كلها وصايا ونصائح وتفسيرات ويعد من أصول كتب الفتوة.

2- كتاب مرآة المروءات: لعلي بن حسن بن جعدويه.

3- خطبة الشد والتكميل.

4- رسالة مطولة في المروءات والفتوة، أولها: الحمد لله الذي أضفى سجاف الإحسان على بدن الإنسان... إلخ.

5- كتاب الفتوة:

---

[15] ترجمته ومؤلفاته في عمدة الطالب، ص158.

[16] روضات الجنات: حرف الميم، ص512.

تأليف أخي أحمد المحب ابن الشيخ محمد بن ميكائيل الأردبيلي، أولها الحمد لله رافع السموات العاليات الأبراج... إلخ، وكله نصائح ووصايا على لسان الفتوة وتعريفها.

6- رسالة في الفتوة للشيخ شهاب الدين المكي.

ورسائل كثيرة بين فارسية وعربية، ومن الفارسيات (كتاب بحر الفتوة)، و(شجرة الفوز)، و(منظومة) وفي إستانبول كتب كثيرة جداً في الفتوة في مختلف الخزائن، يطول بنا تعدادها، وفي برلين، والمتاحف البريطانية، وخزانة باريس الأهلية، وفي الخزانة الظاهرية، ودار الكتب المصرية الشيء الكثير، وعندي مخطوطات كثيرة في الفتوة إلا أنها متأخرة، لا تخلو من تعديل مهم في الطريقة.

ومن أجمع من ذكر الفتوة والأخية الفتيان كتاب (الأخية الفتيان) ذيل على رحلة ابن بطوطة.

ولعل هذا كاف في البيان عن تكوينها ومؤلفاتها، ومشاهير مؤلفيها لا يحصون، وقد انتشرت في ممالك كثيرة، يفوق الإحصاء والبيان عنها على سبيل الاستقصاء.

الفتوة في العراق

نعلم مما مر يقيناً أن الفتوة تكونت في العراق، وكان طريقها أن يقتدي بأكابر الصحابة للقيام بما يقتضيه الواجب الشرعي من عمل الخير الذي يعود على الناس بالفائدة، وأن التصوف والزهد أو العزلة والاعتكاف لا قيمة له أكثر من أن يعبد المرء ربه عبادة صرفة، وفي هذا صدود عن الأمور الدينية الأخرى من نصرة المظلوم، وإنقاذ المصاب، ومساعدة المعوز، أو قل مراعاة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وفي هذا السلوك انصراف لوجهة عملية مفيدة، يتحتم الاهتمام بها أكثر من غيرها مع القيام بالأعمال الدينية مستحبة دون أن ينهارون في المفروض، وهذا ذو علاقة عامة اجتماعية بالناس، وبالأخوة المبدئية، وعلى هذا يعقدون، ويشدون أي يتناصرون أو يتعاونون، ويكونون جماعة تعمل بالمعروف وتنهى عن المنكر، عهد وعقد على التناصر.

والمبادئ الحقة مرغوبة من كل زمان ومكان، ولا تزال صرخة الحق متبعة، وقول الصدق مرغوباً به، ولكن أهل السوء يريدون أني يصطادوا من الطريق المرغوب فيه، فنراهم يدخلون، ويشوشون الصفوة ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وكأن لهم عداء مع البشرية، بل مطامع خسيسة، وهكذا دخلها أهل السوء، سوّلوا لها ما شاؤوا، فمضت على طريقة هوجاء، ومشت على نحو ضل سالكه في مواطن كثيرة.

ظن القوم أن الأخوة أو التناصر يكفي، فلم يهتموا بحسن العقيدة من توحيد، وعبادات، بل صاروا لا يفكرون بأمثال هذه في حين أنها السائق الأعظم، وأنها تنفيذ للمبدأ الحق، رأوا أن التكاتف والوحدة تغني عن التوحيد فدخلت خرافات، واعتقدوا بآراء فلسفية من وحدة وجود وأمثالها كعبادة الأشخاص، وأدت إلى أن يقعوا في الهاوية وهكذا تطورت في الأمكنة والأزمنة، وتابعت أحياناً الأهواء.

وكذا ظن الخليفة الناصر لدين الله أنه بإمكانه أن يعيد ملكه وينزعه من المتغلبة بهذه الطريقة التصوفية، فلم يفلح، وجاء بالخطر، جعل عمل الخير طريقة سياسية، فأدى الأمر إلى ما أدى إليه، ثم تنازعها أهل الإبطان ودخلوا باسمها للإفساد.

الأخية في المملكة التركية

من أعظم مواطن الأخية الأناضول، تمكنت فيه، ورأت رواجاً كبيراً وعرفت في العراق بهذا اللفظ فه لجاءت من هناك؟ برهنت التدقيقات على أنها كانت في مختلف المسالك الإسلامية وأن الخليفة الناصر جددها، فأخذها السلاجقة عنه، وانتشرت في الأناضول، وكان بعض أمراء المغول أخية، وحصلت على قبول تام، فصارت لا تزاحم، فكانت لهذه الكلمة المقبولة، والرأي النافذ، وكل ما يقال فيها عند الترك قليل.

حدث ابن بطوطة بما كان لها من منزلة في نفوس القوم، وزاد في أيامها نفوذها، وتأهبت لتولي الحكم، وحصلت على إدارات كثيرة، وهذه الفكرة الأساسية أوقعتها في المهاوي كما أوقعها إهمال العقيدة أو قبول عقائد زائفة، كانت تلقن بالخفاء.

دامت الفتوة بمعناها الصحيح مدة، ثم تشوشت، قد خفها الإصلاح أيام الناصر، وما بعده ولكنها دخلتها في مختلف الأقطار بعض العناصر الزائفة والتشويشات على أيدي جهلة من جهة ومغرضين من أخرى أفسدوا صفوتها، فلم تقدر أن تؤثر التأثير كله، وصار يدعو إليها كثير من الحروفية والبكتاشية، والباطنية من إسماعيلية وغيرهم في الخفاء، دخلها الناس أفواجاً، وبينهم من يحمل ونزعات، ويرعون غايات ونزغات، من شأنها أن تفسد على الناس مرغوباتهم الحقة.

إن الباطنية في بلاد الترك رأوا مقاومة عنيفة في الجهر بعقيدتهم، تستروا بالتشيع ومالوا إلى الإبطان، فانصرفت عن أنها (مبدأ صوفي) يدعو للإخاء، بل انتقلت إلى نحلة أو عقيدة من عقائد الغلاة، وتقمصوا بأثوابها، صاروا يعدون من أكابر رجالها، وبهذا خرجت عن موضوعها، وزادت في الغلوّ حتى عاد عدد أتباعها بعيدين عن الإسلام في أغلبيتهم، فضلاً عن أن يكونوا من أرباب الطرق الإسلامية المعترف بها، وانقلبت إلى عبادة أشخاص.

وغالب المبادئ الحقة دخلها مثل هؤلاء فأفسدوا صفوتها، وكانت تصوفاً خالصاً وعملاً صالحاً، لا يتجاوز حدود الزهد من طريق الأخذ بمساعدة الآخرين، والقيام بما ينفع الناس، ورأوا أن الانقطاع إلى العبادة والأعمال الدينية الصرفة وحدها مضر بالمواهب الإنسانية أو قل (رهبانية)، وفيه إهانة للخصال التي تقدر أن تقوم بأعمال جليلة، مفسدة لخير الإنسان والتقليل من الويلات، وأنه ينبغي أن لا يقصر في التعاون، ولا يهمل شأنه، بل إن عملاً كهذا قد يؤدي إلى خير العبادات.

والأخية في الأناضول كانت على طريقة مستقيمة، وأشخاصها لا يتجاوزن في طريقتهم حدود الزهد والإخلاص والقيام بمكارم الأخلاق مع الاحتفاظ بالعقيدة الإسلامية، ويعزي تاريخ الإبطان عندهم، وتمكنه بين ظهرانيهم إلى قتلة الإسماعيلية في (الموت) من قبل السلطان هولاكو، فمالوا إلى الأناضول، ودخلوا هذه الطريقة، فظهر منهم شعراء لا يختلفون عن شعراء أذربيجان وخراسان من الباطنية.

وهؤلاء بعد نكبتهم صاروا يميلون إلى طريقة البكتاشية، واختلطوا بأهليها بعد أن نكبوا من السلاطين العثمانيين متوالياً، ومالوا إلى البكتاشية، فلم يعد يفرق بينهم، وصاروا ينقلون حكاياتهم على لسان بكتاش ولي، ومثلهم فعل الحروفية، وفي الخفاء انتشرت مقطوعاتهم الشعرية في الفارسية والتركية، وذاعت دواوينهم، ويقال: إن انتشار الطرق في الأناضول سببه ضجر الناس من أوضاعهم لما أصابهم من الحروب المغولية التي انتابتهم وكانت قاسية، وتحكماتهم فيها قوية.

ومثلها المعارك على السلطنة بين أبناء الملوك من السلجوقيين، وكانت تجري بشدة وعنف، وهكذا حروبهم مع الروم والأرمن، وهذه كلها مما شوش الحالة، وجعل الناس يملون هذه الأوضاع التي كانت من دواعي اضطراب الأمور الاجتماعية.

دامت هذه الحالة من أوائل القرن السابع إلى ما بعد ذلك بكثير مما سبب أن تعمل الطرق لنصائحها وتلعب دورها، فيلجأ الناس إليها بتهالك زائد، ويرون فيها النجاة من هذه الأخطار والبلايا، ومالوا إليها بكليتهم، ووجدوا فيها سلواتهم، ولا

ينكر تأثير هذه من بعض الوجوه، ولكنها لا تصلح أن تكون أسباباً رئيسية من كل وجه.

والمهم أن الأهلين في مختلف العصور الإسلامية كانوا مرتبطين برجال الدين من جهة، وبأهل الزهد والتقوى، لا يترددون في طاعتهم والانقياد الشديد لهم، وأن المشعوذين زادوا استفادة من هذا الاعتماد، وتظاهروا بالزهد والتقوى، ودخلوا بين صفوفهم حتى جردهم لناحيتهم لما عرض من الجهل، وما حدث من الوقائع السياسية والحربية، سواء كان التكاثر، والميل إلى التعرف بسبب الظلم، والوقائع المؤلمة، أو شدة تعلق الناس بالصلحاء والزهاد، فلا ينكر أن يؤثر الأمران معاً ومجتمعاً.

والتسلية عن المصيبة ملازمة للأوضاع والحالات النفسية، وتدل على شدة ارتباط القوم بأهل العين وركونهم إليهم عند الفزع والعلاقة الدينية لم تنقطع، ولا عرف في وقت أن الدين أهمل شأنه، أو أن أهل الزهد لم يحترموا في زمان، وإنما هناك جماعات غزت هذه البلاد - مهما كان السائق - مكتسية بكسوة الصلاح وبثت دعاياتها بين الناس فاستهوتهم من طريقه، وغشتهم باسمه خصوصاً أن هؤلاء لا يظهرون أغراضهم بسهولة إلا أن يتيقنوا ويأمنوا العائلة، ويثق ممن يبوحون له بما عندهم.

والمنقول تاريخياً أن تصوف الزهاد دخل الأناضول من أنحاء تركستان إبان هجوم المغول، إلا أنه لم ينل رواجاً، وإنما سبقه تيار آخر وهو سيل جارف من غلاة التصوف، وهم باطنية قطعاً، كان يبث في أنحاء قونية.

وهؤلاء لا يخلون من رموز وإشارات، وتأويلات لا تساعد عليها النصوص، وكلها فلسفية يونانية، أو أفلاطونية حديثة، جذبوا الناس إليهم من طريقها، وكل ما يرمون إليه أن الكائنات هي الله، ويجب أن لا يلتمس غيرها، وذاعت من طريقهم (وحدة الوجود)، (الحلول)، و(الاتحاد) ومعينهم كلهم واحد، ومقابلة النصوص ومقارنتها تعين وضعهم، انتشرت في الخفاء آراء محيي الدين بن عربي في هذا الوقت

ومن أقوى أنصاره القنوي، وجلال الدين الرومي، فكان الغلاة قد هاجموا الممالك الإسلامية والأناضول خاصة على اتفاق بينهم من الشرق والغرب، وليس هناك تباين في الأغراض.

شاهد الترك اليوم مرارة هذه الطرق الملتوية، وشعروا بشدة وطأتها، وما تتمخض به دوماً من ثورات، سائرة في الخفاء، فأغلقت الجمهورية التركية تكاياها، ولم تبق لها أثراً، ونصت على رموزاتها وتستراتها، والعنت غوائل داخلية كثيرة، وصار الناس اليوم يعدون شرورها عندهم فلا يستطيعون الإحصاء، وكانت ظهرت بعض المؤلفات قبل إلغاء التكايا إلا أنها قليلة، وبعد انقراض التكايا انتشرت مؤلفاتهم، وشاعت، تداولها الباحثون، أو تمكنوا من الحصول عليها فصارت موضوع التحقيق، ومن أهمها الطريقة الكتاشية.

ونحن بوضعنا اليوم وإن كنا نراها قد صارت في خبر كان، إنما نذكرها تمهيداً لمعرفة هذه الطريقة المنتشرة بين ظهرانينا أعني (الكاكائية) بقصد دراسة تطوراتها، والوقوف عليها من الناحية التاريخية في عهودها الغابرة، وإدراك العلاقات بين العراق والأقطار الأخرى.

ومن أشهر المدققين لها في الجمهورية التركية الأستاذ الجليل فؤاد الكبرلي أستاذ الجامعة التركية في أنقرة وفي إستانبول [17]، وهو أعرف بمن هناك منهم، قال: عن دخول الباطنية الأناضول بكسوة التصوف:

-الإسماعيلية وما تشعب منها كالقرمطية ومن على شاكلتها ممن انتحل الإبطان، آمالها مصروفة في الحقيقة نحو إزالة العقائد الإسلامية من بينهم، وأن يحصلوا على الحاكمية السياسية، فدخلوا مواطن جمة، وبذلوا مساعي كثيرة، وتقلبوا في نحو ألف قالب، وكلما رأوا وضعاً منهم منفوراً في أنظار الأهلين، أو شعروا بضرر محدق

---

[17] لهذا الأستاذ الفاضل تتبعات في نواح علمية لها مكانتها من الثقافة التركية، وفي الآداب والنحل لمباحثه قيمتها، ولا يركن في بحوثه كلها إلا إلى نصوص تاريخية. فهو من الموفقين في ذلك، رأيته في داره على البحر في إستانبول سنة 1937م، ومقالاته في دائرة المعارف الإسلامية مهمة جداً.

عدلوا عنه على وجهة جديدة، وظهروا في شكل آخر وحملوا اسماً غير الأول، وأكسبوا عقائدهم ألقاباً حديثة، وسعوا جهدهم في نشر ما يرغبون فيتلقينه، فلم يفتروا، ولم يقفوا، فهم في سير دائب، وطراز ثابت.

كانوا يمثلون أدوارهم هذه بمهارة وقدرة، وخير ما عولوا عليه التصوف والاختفاء تحت ستاره، وكان أسهل أمر يمكنون من القول به من عقائدهم (وحدة الوجود)، والقسم الأعظم من الباطنية في الأناضول جاؤوا من سورية واتصلوا بالأهلين بعلاقات كثيرة سواء كانت فكرية أو تجارية، وفي سورية أصل موطن الإبطان، ومحل وجوده، وفيهم الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية.

ومن المعلوم أن سورية يداخلها الإبطان تحت ستار التصوف، وهكذا يقال عن الإسماعيلية الذين كانوا في (الموت)، هم لا يختلفون عن إسماعيلية سورية، نكل بهم هولاكو أضبط مملكتهم، فصاروا إلى أنحاء الأناضول حذراً من القهر والتدمير، فبذروا بذرته تحت ستار التصوف، وقاموا بإفسادات وتحريكات لا حدَّ لها.

ذلك كله يفسر لنا (البابائية) وقيامهم، و(الأخية) وتشكيلاتهم، و(الحروفية) وحركاتهم، و(البكتاشية) ودعوتهم، نشأ هؤلاء من الباطنية في أساس دعوتها الدينية، وكذا ما خلفها من حركات، يضاف إلى ذلك عامل آخر يتلوه ويعد من مقوماته وهو (ظهور شعراء) من خراسان وأذربيجان وهما منبع الباطنية، فكان لهم تأثير مهم جداً. انتهى[18].

وفي كتابه (إيلك متصوفلر) بحث عنهم وهو جدير بكل عناية والتفات، ثم ذكر مشاهير رجالهم مما لا محل لذكره[19].

---

[18] إيلك متصوفلر. ص231.

[19] ومن آراد التوغل فليرجع إلى (إيلك متصوفلر)، و(صحائف الأخبار) لمنجم باشي، ج2، ص568 و(الشقائق العثمانية)، ج1، ص23 و(تاريخ عاشق زادة)، ص46 و199 و(تحفة الأنظار. ج1. ص191) و(مجموعة آيا صوفيا) وقسم 2311 و(تاريخ انجمني مجموعة سي)، و(ذيل رحلة ابن بطوطة في الفتيان الأخية).

الأخية في العراق

الأخيـة مرادفـة للفتـوة ومفردهـا(أخـي)، وأن الأشـخاص ينعـون بـ (أخـي فـلان) ورد ذكـر (أخـي) في تـذكرة الأوليـاء لفريـد الـدين العطـار، وفي نفحـات الأنـس للجامي، وفي كتب كثيرة تركية وفارسية.

شـاعت الأخيـة في إيـران وتركـستان وبلفظهـا هـذا دخلـت العـراق، وإن (أخـي) انتـشر كثـيراً في كتـب تاريخيـة كثـيرة، ففـي رسـالتي شـهاب الـدين الـسهروردي أوضـحت آداب (الأخـي) مبـسوطة أو في الرسـالة المتعلقـة (بـآل مظفـر) المتعلقـة بتـاريخ كزيـده، وفي نفـس التـاريخ جـاء لفـظ (أخـي) في مـواطن كثـيرة مثـل أخـي شـجاع الـدين، وأخـي جـوق وغيرهمـا، وهـذا الأخـير ورد اسـمه في تـاريخ المغـول مكـرراً، وهكـذا صـاحب (كتـاب الأوامـر العلائيـة) قـد عـد عـلاء الـدين عطـا ملـك محمـداً الجـويني، وأخاه شمس الدين محمداً الجويني وغيرهما من الإخوان الفتيان. [20]

وفي أيـا صـوفيا ضـم مجموعـة (كتـاب منظـوم) يـسمى بــ (دمنامـه) ورد فيـه بيـان عـن الـوزير غيـاث الـدين محمـد ابـن الخواجـه رشـيد الـدين، وبلقـيس الزمـان مخدومـشاه، والـصاحب الأعظـم شـمس الـدين محمـود صـاين، وقـاضي القـضاة شـاه قـاضي، فعـدهم مـن أهـل الفتـوة، وهكـذا نـرى خواجـو الكرمـاني يمـدح رجـال الفتـوة في عهـد الـسلطان أبي سعيد المغولي ووزيره غياث الدين محمد ابن الوزير فضل الله الرشيد.

وفي كتـاب (منهـاج الـوزراء) حكايـة بعـض الفتيـان، وهـذا الأثـر قدمـه مؤلفـه برسـم الـوزير غيـاث الـدين محمـد، وكـان الـوزير يعـد مـن أعظـم أصـحاب الفتـوة، ولعـل هـذا الانتساب هو الذي ساقه إلى بناء ميل على ضريح الشيخ عمر السهروردي، [21]

---

[20] منه نسخة في أيا صوفيا برقم 2985.

[21] راجع تاريخ العراق، ج3، ص27 من الملحق.

وألـف القـاضي عـضد الـدين الإيجـي المواقـف برسـمه، وولاه الـسلطان أبـو سـعيد الـوزارة سـنة 727هـ، وفي كتـاب (المناقـب الـصفوية) جـاء ذكـر الأمـير جوبـان والـسلطان أبي سـعيد بهـادر خـان، وبغـداد خـاتون، والأمـير حـسن الجلايـري، وفيـه أن الـوزير غيـاث الـدين يـروي أن الـسلطان أبـا سـعيد خـان زار زاويـة صـفي الـدين الأردبيلي وقـال: لم تبـق في عينـي منزلـة للسلطنة، وكـذا كنـت بغـداد خـاتون في زاويـة صـفي الـدين، وفيـه ذكـر (سـاتي بـك خـاتون) وأنهـا وردت أردبيـل، ويطـول تعـداد الأخيـة الـذين جـاء ذكـرهم في الكتـاب المـذكور، وفي كتـاب (بـزم ورزم) بيـان لـبعض الأخية.

وكـل هـذه تعـين علاقـة الفتـوة أو الأخيـة بالأشـخاص، ومنهـا يتبـين لنـا صـلة صـفي الـدين الأردبيلي بـالفتوة، وصـلة هـؤلاء الرجـال بالـشيخ عمـر الـسهروردي، فـتمكن أن نعـد هـذه العلاقـة، وذاك الارتبـاط الـسبب بـين الكاكائية وبين القزباشـية وأنهـا متقاربـان أو في الأصل من طريقة واحدة الأولى كانت سهروردية، والأخرى صفوية.

ذكرنـا الفتـوة وجماعـة مـن العـراقيين مـن أهلهـا ممـن كـان معـاصراً لـصاحب عمـدة الطالـب، إلا أن سـمة الفتـوة زالـت وحـل محلهـا الأخيـة، وهـي صـفة الفتـوة، ودامـت الأخيـة في العـراق إلى أيامنـا الحـاضرة، ولا تـزال محلـة في كركـوك تـسمى بـ (محلـة أخـي حـسين) لا أنهـا لم يبـق إلا اسـمها، ولم نعـرف الآن مـن هـو مـشهور بهـذه الطريقـة، وصارت هذه الطريقة تعرف بـ (الكاكائية).

ولعـل هـذا كـاف لمعرفـة الاتـصال بالأخيـة بـين العـراق وإيـران، والمملكـة التركيـة، والـصلة غـير مقطوعـة، والعقائـد والنحـل، أو الطـرق تكـاد تكـون منتـشرة في الكـل معـاً، وهذه من أشهر الطرق القديمة.

الكاكائية في العراق

هذا البحث محط الفائدة، فقد علمنا مكانة الأخية عند الترك، ولا تفترق عنها كثيراً في إيران، وهكذا في العراق، فهل (الكاكائية) غير هذه الطريقة أم هي عينها؟ وما مكانتها في التاريخ بالنظر للأخية؟

ذلك ما نحاول الإجابة عليه والبيان عنه، وكل ما تقوله مجملاً أن الكاكائية والأخية بمعنى واحد إلا أن اللفظة الأولى كردية، والأخرى عربية، تغيرت عندنا وتطورت كثيراً، وهناك ما يدعو للتحقيق عما عرض لهذه الطريقة من تحول.

وهذه الطريقة عرفت قديماً في العراق بالفتوة، كان الخليفة الناصر لدين الله العباسي وجهها ومن مبادئها مراعاة الأخوة، فعرفت في المواطن الأخرى بـ (الأخية) وصار يدعى كل واحد من رجالها بـ (أخي فلان)، وكانت تعرف بالأخية لما قبل هذا الخليفة، شاع لفظ الأخية أيضاً في العراق، بل العثمانيين، ثم بعد الاتصال بهم، ويهمنا بيان تاريخ شيوع لفظ الكاكائية فأقول:

ورد ذكره في العراق بلفظ (كك) مثل (حسام الدين كك)، و(مبارز الدين كك)، وهؤلاء في عهد المغول، جرت لهم حروب معهم، والموضوع نبه إلى تاريخ استعمال (كك)، وينطق به (كاكه)، و(ككه) أيضاً ولكن هاء السكت لم تذكر عند القدماء فقيل: (كك) بكافين مفتوحين كما عرف من مسالك الأبصار، وتعين أن لفظة (كك) معروفة من القرن السابع للهجرة، وأنها ترجمة (أخي) إلى الكردية، والطريقة هي (الكاكائية) أو (الككية).

إن مبارز الدين كك، وحسام الدين كك فصلت أحوالها في (تاريخ إربل)، ولا شك أنهما كانا من أهل الفتوة وكان مبارز الدين كك يدعى الصلاح وتنذر له النذور.

وذكر لي الأستاذ الفاضل هجري دده أن الكاكائية كانوا في نعمة وسعادة وسلطة كبيرة أو واسعة النطاق.

ولا يزال فضلاء الكرد يقولون: إن السهروردية كانت منتشرة في أنحائهم إلا أنها اكتسبت تطورات[22]، وجاء بحث في الكاكائية ذكره الأستاذ أنستانس ماري الكرملي في لغة العرب (ج 6، ص264) لا يعدو التخمين، ولم يكن مما يعول عليه، ولكنه يشير على أوائل التتبع والتدوين في أيامنا الأخيرة.

---

[22] عشائر العراق، ج2، ص225.

أمراء الكاكائية

إذا عدمنا المراجع البعيدة العهد عنا، ولم نستطع معرفة الصلة التاريخية، فلا نترك المعروفين بين ظهرانينا، ولا نهمل الموجودين، وهؤلاء سادة من البرزنجة ولهم نفوذ كبير على الكاكائية في العراق وخارجه.

كان رئيسهم السيد خليل صاحب منزلة ومحترمة بين قومه في تلك الأنحاء وهو امرؤ طاعن في السن، رأيته في أواخر أيامه، ولم يظهر عليه لباس درويش أو صوفي، وإنما هو كسائر الناس أمثاله في أنحاء كركوك، يلبس البشماغ والعقال اللف، كان عاقلاً، فهماً، مجرباً، توفي في أوائل سنة 1932م، وكنت اقتبست منه ومن ابن أخيه السيد علي معلومات وافرة عن قبائل الكاكائية، ومواطنهم، وسلطة رؤسائهم، ونفوذهم.

قال لي: إنهم من أسرة معروفة بالسيادة من قرية (برزنجة) حافظت على رياستها من أمد بعيد، ثم علمت من ابنه أمير الكاكائية اليوم وهو السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل أنهم يحتفظون بشجرة نسبهم، وقد أطلعني عليها في 8 تشرين الأول سنة 1937م، وينتهي نسبهم إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، وهذا تعداد أسمائهم بالتوالي:

السيد إبراهيم ابن السيد أحمد ابن السيد مصطفى ابن السيد نوروز ابن السيد بشار ابن السيد قلندر ابن السيد ولي ابن السيد مراد ابن السيد بابا ابن السيد مراد الأول ابن السيد محمود ابن السيد بشارة ابن السيد الوند ابن السيد قوت ابن السيد سليمان شاه ابن السيد زياد الدين ابن السيد أحمد ميرسور ابن السيد عيسى البرزنجي ابن السيد بابا علي الهمداني ابن السيد يوصف ابن السيد منصور ابن السيد عبد العزيز ابن السيد إسماعيل ابن السيد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). انتهى.

ثـم إن المـوج متفرعـون مـن الـسيد إبـراهيم المـذكور، نقلـت سلـسلة نـسبهم مـن المشجر، وهذا اللوح يعيِّن اتصال الحاضرين بالماضين:

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="4">السيد إبراهيم السيد أحمد المذكور</td></tr>
<tr><td>السيد خليل</td><td>السيد عياش</td><td>السيد محمد</td><td>السيد علي</td></tr>
<tr><td colspan="4">السيد حسين</td></tr>
<tr><td colspan="2">السيد وليد</td><td>السيد خليل</td><td>السيد رستم</td></tr>
<tr><td>السيد حسن</td><td>السيد رشيد</td><td></td><td rowspan="2"></td></tr>
<tr><td>توفيق، سليمان، رفيق</td><td>السيد برهان</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="4">السيد عبد الفتاح، السيد مصطفى، نجم الدين، كريم، جمال</td></tr>
<tr><td colspan="4">السيد علي، السيد فتح الله، السيد صلاح الدين، فؤاد</td></tr>
</table>

وجـدُّهم الـسيد إبـراهيم دفـن في مقـبرة الـشيخ عمـر الـسهروردي ببغـداد، ومـن ثـم تعرف العلاقة بالسهروردية.

والإمارة في الكاكائية قديمة لا يكاد يدرك أولها، واحترامهم للسادة كبير.

أمـا الـسيد خليـل مـنهم فقـد تجـاوز الـستين عـلى مـا يظهـر مـن حالـه، وهـو متـأن، لا يتـسرع في الجـواب، ولا يـتكلم بـأكثر ممـا يقـتضي، وابـن أخيـه الـسيد عـلي نبيـه عـارف، اسـتفدت مـن حـضورهما أثنـاء محـادثتي|كـان المرحـوم عبـد الله بـك الجـاف قـد جـاءني بالـسيد خليـل، فأفهمتـه أن قـصدي تـاريخي لا غـير فاطمـأن نوعـاً، وكـان معـه ابـن أخيـه عـلي، وكـان يترقـب أسـئلتي فـسألته عـن القبائـل، وعـن عمـود نـسبه، وعـن الـذين يـذعنون لهـم بالطاعـة والاحـترام، والانقيـاد الـذي يلقونـه، فلـم يـتردد في الإجابـة ولا تلعثم في قول، فبين ذلك بوضوح.

ثم قلت له:

- شائع أنكم تحبون علياً! فقال لي:

- وأنتم تكرهونه؟! بل أعتقد أنكم تحبونه أيضاً، فقلت:

- لا شك في الحب إلا أن له حداً، فإن تجاوزه كان عبادة !

قلت: تعلمون أن في أنحائكم طريقة قادرية، ولها تقاليد، وأخرى نقشبندية، ولها مراسيم وعوائد خاصة، وهكذا، فما هي الطريقة التي أنتم عليها؟ ! وكان كل أملي أن يسرد ما عنده، ولو بتأويل أو تحوير.

فقال:

- ليس لنا من هذا النوع أكثر من أننا مسلمون، نؤمن بالقرآن، وهنا تلجج، ولم يفصح عن غرضه فزدت قائلاً:

- إن بعض المجاورين حينما يرون القوم (الكاكائية) في كتمان، لا يبوحون بمعتقدهم نجدهم يتقولون عليهم بحيث صاروا ينسبون أموراً غير صحيحة، وغرضي أن أكتب الصحيح، وكان قد سبقني صاحب (دبستان مذاهب) [23] إلى هذا العمل، فلم أتعرض لما يقال عنكم زورا، وجلاً، أو بغضاً وكرهاً ! ذلك ما دعا أن أستوضح منكم جلية الأمر!

- فكانت المحاولات عبثاً، ولم أجد للأخذ مه سبيلاً، وإنما أعاد قوله الأول، أو ما شابه فحولت المباحثة إلى نحو آخر فقلت له:

- إن جهان بخش له كتاب يقرؤه، ولكنه يلتزم الكتمان، ولم يطلع أحداً عليه، فلم يبد كلمة حول الموضوع وقال: نعم إنهم يتخفون، ثم ذهب، ولم يرد أن أتوغل في الأسئلة، ووعد أنه لعله يأتي في فرصة أخرى وبين أنه مشغول فانصرف، ثم إن عبد الله بك الجاف كان يقص لي مشاهداته، وأنا في كل هذا قد أخفقت في مسعاي وحاولت عبثاً، وإن كنت لم أدع الفرصة أن أسأل السيد خليل عن المجاورين وهم أهل تعين (القزلباشية) [24] فقال: سوف أجد لك كتاباً من كتبهم، هم فلاحون عندي،

---

[23] وصف هذا الكتاب في تاريخ اليزيدية.

[24] قرية تسعين يقال لها في لهجتهم (تسين).

ومن السهل أن أطلعك على بعض كتبهم فشكرته سلفاً، وقدمت له بطاقة للمخابرة، فلم أفز بطائل، ولم يعد لي مرة أخرى.

- وغالب ما استفدته من ابن أخيه السيد علي ابن السيد رستم آغا الذي كان يذكر عمه ببعض القبائل، ويوضح بعض ما يقوله، وقد حصل المقصود في الكشف عن صفحة مما أردت.

وهنا وبعد تلك المحادثة، والمحاولات الكثيرة والمراجعات لمؤلفات كثيرة علمت أن الكاكائية (أخية) ورد ذكر بعض أمراء كرمنشاه في أيام نادر شاه يعرف أبوه بـ (أخي) وقد رجعت إلى كثيرين، فدونت ما علمته، أو شاهدته من إخوانهم، أو وقفت عليه من أخبارهم، فوضح المبهم نوعاً، وعرف أنهم في الأصل على طريقة الفتوة، فدخل الغلوّ في عقائدهم، ولنرجع إلى ذكر باقي أمرائهم.

والسيد سلمان ابن السيد وله كنت عرفته بعد ذلك، رأيته فاضلاً، وكذا رأيت الفاضل السيد عبد الفتاح الأمير الحالي ابن السيد خليل، وهو من الأخيار صحبته مراراً فلم أجد منه إلا اللطف، وطيب المعاشرة. إلا أن التكتم يسود عقائدهم، بل يعد من أساسات نحلتهم، لا يبوحون بها عندهم بالرغم من أن النفوس مالت في هذه الأيام إلى الألفة والتعارف، والعراقي يألف لمواطنيه كل الألفة وقد زال التنافر وحل الوئام، ولكل عقيدته وطريقته.

وهؤلاء في الحقيقة قوام (إمام أحمد) في كركوك في محلة القلعة، وهو مرقد يزار، وكل ما يقال في نسب هؤلاء - كما هو المعروف - أنهم من أقربي الشيخ معروف النودهي البرزنجي والد كاكه أحمد أو الجد الأعلى للأستاذ الشيخ محمود الزعيم في أيامنا.

ومن تقاليد هؤلاء السادة أن السيد عندهم لا يتزوج من سائر الناس وهذا معروف فيما بينهم، يكادون يتفقون عليه.

قبائل الكاكائية

إن الكاكائية طريقة، ثم انقلبت على نحلة، ودخلها التحول في مختلف الأزمان لم تكن قبيلة أو مجموعة قبائل أصلها واحد، وإنما هي نحلة تجمع قبائل صوفية، وهؤلاء لا يحصون عداً، فإن قبائلهم كثيرة، وكبيرة، ولا تفترق عن سائر القبائل الكردية، فإن غالبها يسمى باسم المكان الذي نزله أو القرية التي حل بها، وهي منتشرة في إيران والعراق، وتحوي مجموعات تسمى قبائل.

شاهدت السيد خليل وجرى البحث فيما بيننا حول السلطة الدينية ودار حول العشائر والمواطن، فأكد لي أن (الشبك) و(الماولية) [25] ليسوا منهم.

وقبائلهم:

1- اللك، هذه القبيلة كبيرة، ويغلب عليها الغلوّ، والمسموع أنهم (على اللهية)، ذكرتهم في عشائر العراق الكردية [26] وغالبهم في إيران، والقليل منهم في العراق، ومنهم في نفس بغداد.

2- هفته غاري.

3- قره حسني.

4- جولكي.

5- سيد كاكي.

6- مام.

7- باوه.

وكل هؤلاء في أنحاء طاووق (داقوق) وتجمعهم قرى كثيرة، وبينهم من هو خارج العراق إلا أن موطن الرئيس في هذه الأنحاء.

---

[25] يأتي الكلام على الشبك والماولية.

[26] عشائر العراق الكردية، ج2، ص215.

8- صارملو (صارلية)، قبيلة تركمانية من الكاكائية، ويظن أنها نحلة فاضطربت فيها الأقوال، فمنهم من يعتقد أنها نحلة مأخوذة من (صارت لي الجنة) لما يحكون من أن ابن ملجم قتل الإمام علياً، فأنقذه من الناسوت، فكانت لهذا القاتل الجنة، ومنهم من يقول: إن ابن ملجم أراد الهرب، فسأل الإمام أين أذهب فقال له (صارل) أي التف، وأشار إلى حصير في جانب من الجامع لينجو، ومن ثم سمى أتباع هذه النِّحلة بالصارلية، وهذا غير صحيح أيضاً، فهذه قبيلة ذكرتها في المجلد الثالث من تاريخ العراق بين احتلالين[27].

وأوضح ما في هؤلاء عقيدة الحلول والتناسخ، ظهرت كثيراً على لسانهم ولم يعرف لهم تهتك، ولا إباحية كما هو شائع بين المجاورين من أعوانهم أو من يكرههم وبالتعبير الأولى هم كاكائية بلا فرق، ولكن هؤلاء المجاورين يطرون وداعتهم ومسالمتهم، ولم يكونوا أشراراً.

وأتى ذكر قراهم عند الكلام على القرى، ورئيسهم طه كوجات يقيم في قرية وردك، ومنهم من يقول: إن رئيسهم يقيم في قرية (قرقشة) التابعة إلى قراقوش، والصحيح أن لهم في كل ناحية رئيساً، ورؤسائهم العامون سادة الكاكائية، ومنهم في تلعفر رئيسهم (علي بابا)، وهم متفرقون بين قراقوينلو، وبعشيقة، والقوش، وكثرتهم في إربل على ضفة الزاب الأعلى

9- خويلة، تابعة إلى السليمانية، بين السليمانية وكركوك.

10- باديتنان، في الموصل، والظاهر أن هؤلاء من بهدينان فاعتنقوا هذه النِّحلة، وهذه قرية بهذا الاسم.

11- في تلعفر أولاد سيد خليل آغا.

12- في تخته قرب كرند قبائل برئاسة سيد رستم براكه.

13- قرب كرمانشاه برئاسة سيد فرج سهنة.

---

[27] تاريخ العراق بين احتلالين، ج3، ص371.

14- في جهة قصر شيرين برئاسة سيد خليل ابن سيد أحمد.

15- فرقة سيد علي.

16- هواسسه ون.

17- التفنكجية، رئيسهم جهان بخش ويعدون من قبائل كوران وهؤلاء يتجولون بين كرمان شاهان (كرمنشاه، قرمسين) وقصر شيرين، وهذا معروف أنه (على اللهي)، والظاهر أن الذي يعاشرونهم لم يدركوا الفروق، ويغضبون على من يسب الشيطان أو يتعوذ منه كما أكد لي المرحوم عبد الله بك كيسخرو الجاف، وكان صاحبه، وعرفه حق المعرفة، ومن كتبهم أو الكتب المنتشرة بينهم (دبستان مذاهب) من جهة أنه بحث في عقائد العلى اللهية.

18- القلخانية، رئيسهم رشيد السلطنة، وهم نحو ثلاثة آلاف بيت في إيران منهم في كرند، وفي سرتك، وتخنه، وهؤلاء من قبائل كوران أيضاً يأكلون لحم الخنزير، ويصرحون أنهم على اللهية لضعف الفروق، وكل من يسب الشيطان عندهم يقتل، وهذا يدل على تحول في العقيدة من حب الإمام إلى اعتقاد الألوهية فيه، ولكن هؤلاء تابعون للسادة خليل وابنه عبد الفتاح.

19- كرند، رئيسهم علي مراد خان وهذا توفي والآن ابنه مكانه، ومعروف من كثيرين أنهم على اللهية، والقبائل الثلاث الأخيرة ذكرها لي عبد الله بك الجاف.

20- السنجاوية، من أعظم القبائل الإيرانية، وقراهم كثيرة، ورؤسائهم لا يكادون يحصون، وبينه شيعة وسنة والأكثر – كما هو المشهور – على اللهية والظاهر أنهم أهل غلو ولم يتمكنوا من التفريق بين النحل، ويسمون بـ (أهل الحق) أيضاً إلا أنهم يعدون من الكاكائية، وهؤلاء كلهم أصحاب قرى، لم يتكتموا بمعتقدهم، وسنجاوية العراق إسلام شافعية، ولعل هناك فروقاً تجعلهم غير العلى اللهية، وإلا فالمشهور أنهم من (من العلى اللهية)[28].

---

[28] في عشائر العراق إجمال عام عن هذه القبائل (قبائل الكاكائية)، ص180 وفي مجلة (بادكار) ذكر فكل قرية من قرى السنجاوية وما فيها من نحل في السنة الرابعة (1948م).

21- كـوران، رئيـسهم قمـر سـلطان ورشـيد خـان وقـادر خـان، يـأتون إلى زهـاو، يتجولـون بـين زهـاو وكرمانـشاهان، وقـيم مـن هـم في اتجـاه شـهرزور، وأطـراف حلبجـة، ويقـال لأهـل القـرى (كـوران)، وللعـشائر الـسيارة مـنهم (كـرد)، والملحـوظ أن كـوران العـراق شـافعية المـذهب بخـلاف أولئـك، وفي هاوراميـان العـراق مـنهم مـن سـكن في قريـة (هـاوار)، وقـد تكلمـت عـن (كـوران) في عـشائر العـراق الكرديـة [29]، ومـن قبـائلهم (تفنكجي) و(قلخاني) وقد مر الكلام عليهما.

22- بختياري – هفت لنك.

23- اللر – قسم منهم.

24- ققفيته.

25- جيحون آباد.

26- سهنه.

27- كاني جرمي.

28- سياه بيم.

29- كندرخانة.

30- دينور.

31- سعد آباد.

32- خاك ريز.

33- كهواره.

34- مزرعة.

وهـذه مواقـع وقليـل منهـا قبائـل، فـلا يفـرق يـبن المكـان والقبيلـة للاتـصال بالوجـه المـذكور في عـشائر العـراق الكرديـة وقـد تكلمنهـا عـن عـشائر الكاكائيـة وهنـاك قـرى لا تحصى في كوران أو في اللك أو في البختيارية وفي السنجاوية.

---

[29] عشائر العراق الكردية، ج3. ص85.

وهذه القبائل أغلبها على طريقة الكاكائية، كل قبيلة من هذه تتفرع إلى فروع أو تتوزع إلى قرى، وهذا هو الأصل والفروق بين القبيلة والقرية متقاربة ونفوسهم تعد بالألوف أو مئات الألوف، ولكن الفرق الرئيسية بينها شيعة وسنة وغالب قراهم مشتركة".

ولم يكن التدوين عن هذه القبائل مقصوداً من حينه، وإنما حاولت أن أجعله تمهيداً للبحث عن حقيقة المعتقد، ولذا لم أتوسع بها وبمواطنها وفروعها إذ لا تخص العراق أو لا علاقة لها به، ولعل التوسع في العرفة هناك يؤدي إلى الاطلاع على منهم عندنا وفي أنحاء العراق، فالواحدة توضح عن الأخرى.

---

[30] عشائر العراق الكردية. ج2، ص180.

قرى الكاكائية

القرى العراقية متعانقة ولاسيما من كان منها متقارباً أو في محل واحد، فكأن المحيط أوحى لها وضعها، وقرى هؤلاء لا تختلف عن غيره من القرى العراقية الكردية المجاورة لها أو المختلفة بها، ولا نستطيع أن نفرق بين الأقراء من ملاحظة القرى، وهكذا اللباس لا يشير إلى الفروق إلا قليلاً، ولا يعيِّن أرباب النِّحلة.

وبعض الأوضاع الضعيفة لا تعين لنا شيئاً من ذلك، فهؤلاء من الكره بلا كبير فرق، ويصعب علينا التفريق بين القبيلة والقرية، وغالب التسمية العامة تطلق على القبيلة وإن كانت في الغالب اسم المحل.

والتفريق بين الكاكائية وغيرهم إنما يكون في الرسوم والمراسيم الأخرى، وقد يتحقق اللباس أحياناً، وتختلف العقيدة اختلافاً لا يمكن الائتلاف فيه أو التوفيق بينه، وبعض الرموز أو الأوضاع مما يلتفت إليه فيما بينهم، ولكن هذا لم يتوضح لي.

والكاكائية يختلفون عن مجاوريهم أو مساكنيهم في ميلهم إلى الثقافة لاسيما في كركوك، وأنهم في رفاه من الحياة، نشأ منهم موظفون كانت لهم مكانتهم ولا تزال، وكثرتهم في أنحاء داقوق (طاووق) المعروفة قديماً بـ (دقوقا).

وهم منتشرون في غيرها ورئيسهم في قرية (طوبزاوة)، ونرى التضامن بينهم كبيراً جداً، بل يعدون لزوم التضامن مع كل الناس فهم من هذه الجهة في الموقع الممتاز أورؤسائهم من الأخيار، لا يبغون الشر، ولا يميلون إلى الفتن، فهم أهل هدوء وسكينة.

وكان الأولى أن لا نفرق بين قراهم وبين القبائل إلا أن الغرض بيان قراهم، ومواطنهم في العراق لنعلم تلك العلاقة، ونتمكن من مواطن انتشارهم ومحال كثرتهم، وهذه أشهر قراهم:

1- قرى الكاكائية في كركوك:

في نفس كركوك محلة المصلى، ومحلة جاي، وأما القرى فهي:

1) طوبزاوة، موطن أميرهم السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل.

2) علي سراي، من أجمل قراهم.

3) زنفر، وتلفظ زافر.

4) تل رابعة، وينطقون به تل رعة، (تل ربعة).

5) دلس الصغيرة.

6) دلس الكبيرة.

7) ربيضة، ينطقون بها ربيزة، أو ربيدة.

8) البوسراج.

9) زنكلاوة، أو جنكلاوة.

10) البو محمد.

11) عربكويي.

12) مطيق أو متيق.

كل هذه تابعة طاووق، ومن قراهم (أسكي سراي) ولم يبق لها أثر.

13) قرية أبو كصة، كاكائية كلها، هذه تابعة لنفس كركوك.

14) محلة سر شقام، وهي كاكائية في نفي السليمانية.

15) قرية هاوار، في (هاورمان) من قضاء حلبجة من لواء السليمانية، أهلها كاكائية، وفيها الآن بعض الرجال العارفين بعقائدهم وتقاليدهم، أو بالتعبير الأصح العارفين بطريقتهم في هذه القرية.

والزعيم الديني في هذه القرية درويش رشيد، وهناك مرقد (سلطان إسحق) من مزاراتهم في قرية (شيخا) قرب قرية (توسود) ويعدون من الكورانيين.

16) السادة في تلعفر، كاكائية، وكبيرهم هناك السيد يونس رئيس البلدية.

علمت ذلك من السيد عبد الفتاح ابن السيد خليل، وهو الرئيس العام، في 8 تشرين الأول سنة 1937م.

ومن قراهم في خانقين:

- نفس خانقين، فيه من هو من الكاكائية.
- كبسه.
- ميخاص، رئيسهم طاهر عزيز(هو الرئيس في حاجي قرا).
- بوكه.
- عماراو (عنباراو)، رئيسهم ميرزا سعيد.
- كره بوله (كردبولي)، رئيسهم عز الدين حمودي.
- مركز حدود، رئيسهم باشا حمودي.
- جم جقل (جم جقال)، رئيسهم عباس عزيز.
- قلمه، رئيسهم بابا ولي.
- ساوله (سياوله) رئيسهم هباس.
- باريكه.
- تفرقة.
- بابا بلاوي صغير، رئيسهم عبد الله مثنى.
- مركز شيخ، رئيسهم السيد حسن ابن السيد عبد الله.
- أمين بابير، رئيسهم فرحان.
- مقاطعة خانقين، رئيسهم عبد الله فتحي.
- داره خرما، رئيسهم السيد حسين ابن السيد عزيز.

هذه قرى الكاكائية في خانقين، علمت ذلك من رئيسهم السيد عباس عزيز في 9 تشرين الثاني سنة 1939 م.

ومن رؤسائهم الروحانيين الذين يترددون إليهم:

1- درويش رشيد – في قرية هاوار، في هاورامان.

2- السيد عباس – في طوبزاوة، من آل السيد ولد.

3- السيد سلمان – في نفس الموصل.

وهؤلاء الشيوخ يأتون لناحية السعدية (فزلرباط) جماعة منهم رئيسهم علي كيم، وعباس.

وفي مندلي (بنديجين):

1- دوشيخ، وهذه نقطة فارسية معناها (شيخان) كذا قيل، وجاء يفي سياحتنامه، حدود أن (دي شيخ) تعني قرية الشيخ فان ده، أو دي بمعنى قرية وتبعد عن مندلي نحو ساعتين سيراً على الأقدام.

2- قلم حاج، محلة في مندلي تقع على الطريق المؤدية إلى قزانية، وأصل تسميتها (قلعة مبرحاج) فتصرفوا في لفظها، وتمرها المسمى بهذا الاسم معروف.

وجاء في لغة العرب أنهم (على اللهية)[31] وليس بصواب، وإنما هم (كاكائية)، والفروق بينهم وبين العلى اللهية غير واضحة.

ومن قرى الكاكائية الصارلية في إربل وما والاها:

1- كلك ياسين، وتسمى (ياسين كلك).

2- زنكل.

3- وردك، رئيسهم طه كوجك يقيم فيها.

4- نوله بند، أو (تله بان).

5- كزه كان.

6- كبرلو، كبرلي.

7- فرقشه، تابعة إلى قراقوش.

8- تل الحميد.

9- خرابة سلطان.

10- فتحاو.

11- صفيه.

[31] لغة العرب. ج7. ص513 و806.

12- مطراد صاره لو.

13- بساتليه.

كل هذه في لواء إربل في ناحية الكوير وفي القرى القريبة، ومنهم في بعشيقة، والقوش، وقراقوش كما تقدم، وكثرتهم في ضفة الزاب الأعلى، وبينهم من يقيم مع قراقوينلو.

وهذه علمتها من السيد عبد الفتاح في التاريخ المذكور سابقاً، كما أنه تفضل علي بتعيين مواطنهم في إيران، ومحل انتشارهم هناك، وهذه قائمتها:

1- طهران، خيابان جليل آباد.

2- تبريز، قسم منها.

3- همذان.

4- كرمانشاه.

5- كرند، ومن رؤسائهم خان عزيز وعلي مراد وقد توفي والآن ابنه.

6- قصر شيرين، قسم منها.

7- نوشامي، قرية سيد رستم براكه.

8- قريبة سيد قتوم.

9- قرية روزاب.

10- تبه قبرستان.

11- قرية سيد خليل.

12- قرية سيد أحمد.

ومن الكاكائية في إيران:

قلخاني: نحو ثلاثة آلاف بيت في إيران، في كرند، وسرتك وتتهه، رئيسهم رشيد السلطنة، ومن رؤسائها:

1- جهان بخش.

2- قمر سلطان.

3- بهرام بن شير خان.

4- شيران.

5- ابن السيد رستم، من رؤساء برزنجة سادة ولكنهم صاروا منهم ومصلهم أهل كرند، ويصرحون أنهم (على اللهية)، وهنا لم يفرق بين الكاكائية والعلى اللهية، وجاء في رحلة المثنى البغدادي ذكر الكثير من قرى الكاكائية، إلا أنه لم يفرق أيضاً بينهم وبين العلى اللهية، والفروق دقيقة كما يظهر، وكل من يسب الشيطان يقتل إذا تمكنوا منه، أو قدروا عليه، فهم يحترمونه.

المراقد والمزارات المشهورة

إن الكاكائية في تكتمها، والعمل لإخفاء كل ما عندها أدى إلى أن يتقول المجاورون عليهم، رجعنا إلى مزاراتهم وزياراتهم، فدونا بعض ما هنالك لعلنا نتوصل إلى حقيقة هذه النِّحلة، وكيف انتقلت من السهروردية، وكانت شائعة كشيوع النقشبندية في هذه الأيام، ومن هذه التحريات أيضاً لم نظفر ببغية ويصح أن أقول: إنني عدت بصفقة المغبون، تبين لي أن ليس لهم أيام خاصة لزيارة المراقد، ومن أظهر مراقد الزيارات:

1- سلطان إسحق: وهذا المرقد أو المزار في جبل هاورمان، في قرى هاورمان، ولعله أصل فرقة (الإسحاقية)، ويعد عندهم من أهل الظهور، وسلطان إسحق في قرية (شيخا) قرب قرية توسود، وإن الكاكائية يزورون هذا المرقد سنوياً، وليس لهم يوم معين لزيارته، والأكثر يأتون للزيارة في فصل الربيع.

وقرى لهون من قرى هاورمان، التابعة لإيران (مدينة سنة) وهذه القرى منها 17 قرية تابعة قضاء حلبجة، لناحية خورمال ويقال لها (هاورمان تخت) وباقي القرى تابعة إيران وهي نحو 100 قرية[32].

ويعدون (سلطان إسحق) من أعظم رجالهم المشاهير، فيزار ويعد أول من ماله الظهور بعد الإمام علي، ويلفظ (سهاك، أو صهاك).

2- سيد إبراهيم: في بغداد بين الشيخ عمر والباب الأوسط، ويعد من أعاظم رجالهم، بل من أهل الظهور ويدخل في سلسلة نسب السادة أمرائهم، ويقولون: إنه ظهر بطريق التناسخ ست مرات، وأنهم ينتظرون ظهوره للمرة السابعة، يحترمونه احتراماً زائداً، فائق الحد، ولهم فيه حكايات وقصص منقولة، ويقولون: إنه

---

[32] عشائر العراق الكردية، ص86 وما بعدها.

(مهدي) آخر الزمان، بل يقطعون بظهوره كاله، ومشهد دفنه بقرب الشيخ عمر السهروردي، وهذا ما يشير إلى العلاقة بهذه الطريقة.

3- دكان داود: داود هذا كان خليفة السلطان إسحق وهو مرشد، محله يسمى (دكان داود) ويقع بين سربيل وباي طاق، في كهف جبل عال فيه دكان داود يزورونه، وبقربه مقبرة، وهناك كاكائية: وشيعة ويعدونه من الأدلاء، ذكره صاحب المعجم في مادته وأحال إلى مادة (با أيوب)، وقهي قرية كبيرة بين قرمسين وهمذان عن بين الطريق للقاصد من بغداد إلى همذان.

وذكر قصته مفصلاً في مادة (دكان) و(با أيوب)، ولهم مزار فيه، ويعتبرونه من المواطن المقدسة، ومثله يقال في سربيل، وهو مذكور في مادة (قصر شيرين).

وأمام الدكان كومة أشبه بكومة اللبن من الصخر كأنها منحوتة لهذا الغرض، ولهم أساطير محفوظة عن هذا الأثر، يقولون: إنه محل صناعة داود الذي ألين له الحديد، في حين أن داود كان من رجالهم، ويعيّن درجة اعتصامهم بداود وحبهم له أنهم لا يحلفون به كذباً، وشكل اليمين عندهم (داود كوسوار) أي داود خيال المليحة، ولا يبالون أن يحلفوا بيمين أخرى، ويقال: إنهم يرجحون داود على النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنهم يعدونه مظهر التجلي، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) عندهم ليس كذلك.

4- زين العابدين: مزاره في داقوق (طاووق).

وأصل محله كنيسة، وبناؤه قديم، دفن عنده بعض أولاد السادة، ولا يعرف من هو المدفون، والشائع مغلوط، ولم يقطع أحد يفي صحته، ولا يعرف أحد أنه هناك قطعاً.

5- الحاج السيد أحمد ويراني سلطان: وهذا معتبر عندهم في العراق، وعند الكتاشية في الدولة العثمانية، بل معبود من أهل طاووق (داقوتا)، وأهل طوزخورماتو، وأهل تسعين وأمثالهم، ويقولون: إنه كان مقيماً في (تكية البكتاشية في

النجف)، فرفع إلى السماء وصار أسداً، ولا تزال في هذه التكية قلنسوته (كلامه)[33] موضوعة على دكة في جانب من الغرفة هناك في نفس التكية.

ولما يزورون النجف يبدون له غاية الاحترام، بل العبادة، ويقبّلون المحل بخضوع وإجلال، وعندهم أن زيارة الإمام علي صورية، وهو المقصود فله الظهور كسائر أعاظم رجالهم"[34].

6- إمام أحمد: في كركوك بمحلة المصلى، وقوامه سادتهم وأمراؤهم.

7- باوه يادركار: في إيران، في ماي دشت، ويعد من أماكن زياراتهم المعروفة، تجلى فيه الله.

8- عمر مندان: في كفري، وهو غير (عسر مندان) الواقع في طريق كركوك – إربل، وهذا من أولاد سادتهم لا أكثر.

9- إمام إسماعيل: وهذا في الزاوية التابعة لناحية قزلباط، تقدم لها النذور في يوم خاص، ويقولون: من حلف به كاذباً اعوجَّ فكُّه، ومن كان فكه أعوج قوَّمه، يعدون ذلك من كراماته.

10- شعب الدين: هو شهاب الدين السهروردي، يقولون: إنه نائم، وهو الموكل بالأمطار، وأثر ذلك عندهم متوارث عن أصل (الطريقة السهروردية) كما أن وجود السيد إبراهيم بقربه يدل على الاتصال ووحدة الطريقة ثم نالها التحول، فانقلبت إلى مثل هذه الأمور.

11- باوه حيدر: في إيران، ممن ناله الحلول.

12- شاه عباس (إياس): من السادة، ناله التجلي.

13- سلطان ساقي: من الأولاد ولم يكن من أصحاب التجلي.

14- إمام قاسم: من الأولاد، ولم يكن من أصحاب التجلي.

---

[33] الكلام يقال له عندنا (كلاو)، وهو ما يلبس في الرأس معروف وفي هذه الأيام ترك من الكثيرين، وكان الكرد يلبسونه، وكذا الإيرانيون. ويتنوعون بصنعه.

[34] من تعليق في غلاف ديوان روحي البغدادي في النسخة المطبوعة الموجودة عندي.

15- حواس: قرب على سراي.

والملحوظ أن زياراتهم منها ما يعتقدون به أنه نال الظهور (الحلول)، والانتقال، وله مكانة محترمة، ومنهم من كان من الأولاد (أولاد السادة)، أو من المرشدين (الأدلاء).

وهذه المزارات معروفة، ذكرها لي السيد عبد الفتاح رئيسهم السيد خليل، وعندهم يقدم (النياز) أي (النذور) بلا تعيين وقت، وفي الحقيقة يسمى هؤلاء بـ (النيازية) وتقدم إلى رؤسائهم، أو لأصحاب هذه المراقد، وينعتون غيرهم بـ (النمازية) أي أهل الصلاة وباصطلاح المتصوفة يسمون (أهل الرسوم) كما أن العلماء يقولون: إن هؤلاء (أصحاب رفع التكاليف).

وعلى كل حال هذا التقسيم لا يصدق عليهم وحدهم، إنما يدعي به كثيرون من المتصوفة الذين يندون بالعلماء ويعيبونهم بالرسوم الدينية، وفي هؤلاء رسخت مثل هذه الأقوال أكثر، فلا نراهم يقومون بالمفروضات ويقولون: نحن (نيازية)، ويستندون إلى آية ﴿ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة المجادلة: 12] ويريدون بها (النياز)، وهي بعينها موجودة عند (الإسماعيلية) وأهل الطرق أرباب الدعوات الذين يقولون بالوصول ورفع التكاليف، وليس لاحتفالاتهم الدينية موسم معين أو وقت مقر، ولا لإقامة النذور زمن مخصوص أو أمد محدود، وإنما يجمع الواحد مقداراً كافياً ليقدم نذره، ويقوم بواجبه ولا يكلف بغير هذا النذر أي (النياز).

وكأن هذه تقوم مقام العبادات، وتعد تعويضاً لما يطلب من غيرهم من التعازية من أعمال.

البابوات

هؤلاء علماء الطريقة، أو رجال دينهم ويسمون بـ (البابائية) العارفين بأغراضهم الدينية مهما كان شكلها أو نوعها، وليس لهم مراسيم خاصة، وإنما يقومون في الحقيقة بأمور دينية، أو اعتيادات متعارفة، وتلاوة أدعية، أو قراءة (بويروقات)، وهي أشعار أكابر رجالهم ممن يعتقد فيه أنه من الأعاظم.

ويسمى هؤلاء (ددوات)، ولكن أصل المصطلح لغيرهم، والملحوظ أنهم أرادوا أن يتستروا بهذا الاسم حذراً من الترك أن يبطشوا بهم.

وغالب هؤلاء يحفظون المقطوعات الشعرية المختارة لمشاهيرهم، ويقال لها (نفس)، وهي أشبه بـ (أنفاس البكتاشية) أي مختاراتهم الشعرية، بل غالبها مشترك بين الكل، وبين هذه فارسية وتركية.

وكان السيد عبد الفتاح وعدني أن يأتيني بواحد من شيوخهم (باوه) أو (بابا) فلم يبر بوعده والظاهر أنه نسي وإلا فلا أعتقد أنه تعمد، ولكنني رأيت هجري دده فأغناني عن كل رجالهم، وخضر لطفي من مشاهيرهم، وعدني فبرَّ بوعده في التعريف أوكان فاضلاً جداً، وله معرفة تامة بالنِّحلة، فلم يتكتم، ولكن الأستاذ هجري دده كان متكتماً.

ومن المعلوم أن هؤلاء البابوات صوفية في طريقتهم لا يبوحون بشيء، وإذا ألححت على أحدهم قال: هذا مما لا يجوز أن نبوح به، فلم أحرجه.

وآدابهم صوفية، ولا يحفظون سوى أشعار المتصوفة الغلاة وفيها من الغرابة، وضروب البلاغة في البيان ما يبهر أتباعهم، ويجذبهم قسراً إليهم وأساساً إذا أردنا أن نعرف مكانة رؤسائهم الدينيين (البابوات) فذلك يتعين من درجة حفظهم

الـشعر، ورغبـتهم فيـه، ونـرى في هجـري دده أكمـل أوصـاف البابـاوات، ونـرجح الكـلام عليـه، وهـو مـن أصـحاب المكانـة الممتـازة أوهـو شـاعر محبـوب وأعـده مـن الأصدقاء الأفاضل.

هجري دده

في كركوك روح أدبي، وصلة بالآثار الشعرية مكينة، ميل إلى الفارسية كبير، دواوينها منتشرة، ولها رواج، ولا يخلو الأهلون من تأدب بالأدب الفارسي والتركي أيضاً، فإن ميلهم إليها كبير، وتكاد تكون التركية لغتهم التي يتفاهمون بها، وفي الأصل سكن البلد قديماً أقوام تركية، ولغتهم آذرية قريبة من اللغة التركية في الأناضول، وكانت كركوك أكبر منبع للموظفين الترك أيام الدولة العثمانية.

وغالب هؤلاء أدباء يتقنون الفارسية والتركية والعربية، نبغ منهم شعراء مشاهير لا يستهان بهم وغالب الدواوين التركية مثل: ديوان فضولي، وروحي، ونورس، وأسعد النائب، وغريبي، متداولة بينهم، إن مختاراتها محفوظة، تلوكها الألسن، ومن حصل على كمية وافرة من مختارات هذه، وكان له اتصال بالعربية وآدابها بلغ الغاية في البلاغة، وربما نظم الشعر، ولم تُر كركوك خلت في وقت من أمثال هؤلاء، نشاهدها فياضة الآداب، وبوفرة الشعراء، وقد أوضحنا في (كتاب الأدب التركي في العراق) ما فيه الكفاية.

وهجري دده أديب كامل ممتاز في شعره كأولئك الكركوكيين الأفاضل وشعره مشهور في الفارسية والتركية، والمطبوع المتداول منه يكفي للتدليل على مقدرته الفائقة، وصناعته الأدبية في الشعر، ومختارات محفوظاته تعرف بقيمته الأدبية.

وموضوعنا (الكاكائية) ورجالها العلماء الأدباء، وهجري دده يعد بحق من الأفاضل، تغلب عليه مسحة تصوف الغلاة أمثال الحلاج، ونسيمي، وفضل الله الحروفي، وبكتاش ولي، وإبدال، وويراني وأضرابهم.

نراه يرمي إلى ما يرمون إليه، ونشاهد الوحدة، والاتحاد، والحلول، والجذبة والوله، باديات في رباعياته أو ترمز إليها، كما أن محفوظاته تفصح عن توغله في أمرها وفيها البيان الكافي، فلا أجدني مبالغاً إذا قلت: إني عرفت منه كل شيء

بالرغم من تكتمه إلا أنه باح بما أريد، أو همس في أذني بما قصدت، وإنما رأيته متكتماً غاية التكتم.

ولكنني قرأت في مختاراته جملة تصلح للحكم، وأبدتها رباعياته ومنظوماته، فلم أر أوضح من هذا بياناً وفي مصل هذا تكفي الإشارة، والرمز - كما يعبرون - بيان، بل الكتابة أبلغ من التصريح، ولم أجد في شعره ما يخالف المنقول المحفوظ.

أعجب منه أن يتكتم، والرأي يجب أن يعرف، وإذا كان حقاً فمن الضروري إذاعته، وقد حاولت معه محاولات لاستطلاع رأيه من هذه الناحية فعدت بصفقة المغبون، ولكن كفاني أن أعرف مبدأ القوم من شعرهم، وهو كل ما يعولون عليه أو يرجعون إليه.

نعم رأيت بيانه جديداً، وموضوعه لم يختلف، وقدرته على الأداء واضحة، وكأنه يقول: نحاول كشف الغطاء، وليس في الطاقة إظهار السر، ولعل فيما نطق به من الشعر ما يسهل الإدراك، ولا أود أن أحرج الرجل، وقد رأيته في مكانة من الأدب، والقدرة على البيان، واللطف الكبير وعلى كل هو مفكر، عاقل، ممن نفتخر به.

ومن مطالعة المؤلفات الخاصة والأشعار المنتشرة أن عقيدتهم تلخص في أن الكون والمكون واحد، وأنهم منه وإليه، وليس ثمة فروق، فلا مجال للتحري، وفي أمر الوحدة والاتحاد زلت أقدام.

هجري دده لا ينكر فضله، ولا يبخس شعره، صديقي أود مجالسته، وأعدها من خير أيام الانتعاش، يحلو حديثه، طروب أديب، وفي معاشرته نشاط الحياة، وقوة فيضها، وإذا كانت مختاراته تشير إلى حسن انتخابه، وشعره يدل على أدبه الجم، وتتبعاته التاريخية وغيرها تعين مقدرته العلمية، فلا شك أن رباعياته تعين عقيدته، وخطته في حياته.

ورباعياته (إرشادات كائنات) متأثرة بالأدب الفارسي والتركي، ومشبعة بهما لا من الوجهة الأدبية، بل من ناحية الإبطان، وأهلاً وهو من رجاله البارزين اليوم، ومن شعرائه العارفين، نرى أديبنا تقمص ثوباً خيامياً في الانهماك بالخمرة، وعدم

المبـــالاة بالـــشرائع، داعيـــاً إلى الاســـتقامة والـــصفاء دون التفـــات إلى المفروضـــات والعبـادات، كـأن هـذه تنـافي تلـك، أو أن إصـلاح البـاطن لا يـأتلف ومراعـاة الظـاهر، فـإذا كـان يلخـص التقـوى في تـرك الـشر، فـلا ينبغـي أن ننفـر مـن المساجد وبيـوت العبـادة والمدارس لنلتمسها فيها، قال:

خيلي بصحن مدرسه خواندم كتاب قال جـزلاف عمـرو وزيـد نديـدم أزومقـال

انجـام كـأرفيض زمـا دانـيم رميـد بهـتر زحـال بيخبري نيست هـيج كـمال[35]

لا يـرى المدرسـة مـوطن تهـذيب، وكـان الأولى أن ينـدد بأوضـاعها الـسقيمة، يريـد أن الكائنـات مـورد تهـذيب، والاتـصال بـالنفس وبالعـالم معـاً يـدعو للاسـتفادة الكبـيرة، ولا يـستغني عـن أمـر، وطـرق الانتفـاع كثـيرة، وإذا كانـت الخمـرة هـي المهذبـة، أو النظـرة إلى الكائنـات تلهـيها لـدروس المهمـة دون اسـتعانة بمدرسـة فالويـل للمعـارف في خططهـا لمختلـف الأصـقاع والممالـك، وويـل لمـا تـصرفه في سـبيل رفـع الأميـة والقـضاء عليهـا وتمكـين المعرفـة، بـل يريـد أن الفـيض أو الـتجلي أصـل المعرفـة عـلى حـد قـولهم: (مـا بناه العقل بالكشف انهدم).

ويهمنـا أن نقـول: يجـب أن تعـرف بـالآراء، لا أن تخفـى، وتـسرى في حالـة الكـتمان، ومـن الـضروري أن نناقش، والبقـاء نـصيب الحـق الـصراح، والفاضـل الأديـب مـسوق بـأثير الآداب الفارسـية والتركيـة، بـل آداب غلاتهـا، ولا مـانع أن نقـول مـا اقتنـع منـه، وأبـداه بأسـلوبه الجـذاب وشـعره الرقيـق مـشبع بمـن تقـدم ذكـرهم وكـان في الـذروة الأدبية.

وكيـف لا يكـون كـذلك وهـو يحمـل مختـار المختـار والقـد مـا يعـيِّن نهجـاً حياتيـاً، ولا في الإغـراق بالـشرب، وكأنـه هـو الحيـاة، وهـو الـصلاح وتـسييرها، أو تعـديل المعـوج منهـا، وهـو العلـم، وهـو الـدين، أو هـو الكـل في الكـل، قـالوا: لا تؤنـب أحـداً، ولا تنـه

---

[35] رباعيات إرشادات كائنات، ص17.

عن منكر، وانظر إلى خاصة نفسك وأمر صلاحها، وراقب قلبك وصفاءه، فلا تهتم بغير ذلك، ولا عبرة بالمجتمع وشؤونه، ولا الدعوة إلى خير العمل.

فلسفة مات أمرها وإن زوقوها بجميل الأشعار، أو بزينة القول، والآن تصرف الملايين لصلاح المجتمع وآدابه، وسياسته، وحسن إدارته، وأن لا تدخله المبادئ المضللة.

قصصت ما رأيت، وليعذرني القارئ في إبداء ملاحظتي، والمرء لا يقف جامداً تجاه ما شاهد، وقد طالعت غالب آثارهم، والأديب الفاضل كما آراؤه كسوة قشيبة، وعبر بها عن لسان القوم بلهجة العصر، يتطلب الإصلاح، ويدعو إليه من طريق دعوة الأقدمين، ولم يعيِّن نهجاً جديداً وطريقاً واضحاً.

وعلى كل حال مؤلفاته خير طريق لمعرفة مبدئه، وأشهر مؤلفاته:

1- إرشادات كائنات.

2- تاريخ كركوك.

3- يادكار هجري – فارسي وتركي.

4- رباعيات – جارى به الخيام.

5- نرجيع بند – تركي.

6- جانلي أثر.

7- ترجمة كلستان سعدي إلى التركية.

وهجري دده ولد سنة 1298 هـ، تقريباً واسمه محمود هجري ابن ملا علي أفندي ابن نظيري دده بن قيصر، وقد حكى أنه يمت إلى رسول حاوي صاحب دوحة الوزراء بنسب.

ومن الآثار القديمة التي لا تزال عند أسرته (التاج)، والخرقة من الحرير، والكمر، وهذه يرجع عهدها إلى زمن السلطان سليمان القانوني، وقد أكد لي بأنها موجودة عندهم.

ولا نمضي دون أن نبين أن هذا الرجل الفاضل من الشيوخ العارفين، وزجال الكاكائية المتميزين وأصحاب المكانة سواء في بلده، أو في الأماكن الأخرى التي يقطعها أرباب هذه النِّحلة ويلقى منهم كل احترام وتوقير، وحسن ضيافة، وله سفرات إلى قرى الكاكائية في أوقات ومواسم خاصة.

والملحوظ أن جريدة كركوك الرسمية تنشر له بين آونة وأخرى بعض الرباعيات التي تزين بها الجريدة، مكتوبة باللغة التركية، مما يستلذ المرء قراءتها، ويستطيب أفكارها، وقوة بيانها.

ولهجري دده أشعار معروفة، ذائعة في أنحاء كركوك، ومنقولاته الشعرية المختارة كثيرة وغالبها من نسيمي، ومن بكتاش ولي ومن ويراني، وأبدال، وقد تعرضت لتفصيل حياته وحياة جده نظيري دده في تاريخ الأدب التركي في العراق.

وهذه سلسلة أسرته:

فيصر			
نظيري دده[36]		محمد	
ملا علي أفندي[37]			
عبد الله (توفي صغيراً)	أحمد أفندي	محمود هجري دده	محمد

ذكر لي الأستاذ هجري دده أن رسول حاوي ابن عمه الأعلى ولم يعيِّن لي وجه اتصاله به.

السيد سليمان:

شاعر من السادة الكاكائية، وله معرفة بتقاليد القوم، ويعرف عن البكتاشية الشيء الكثير ولا شك أنهم يتصلون بهم، ولا يشذون عنهم بوجه، وأكثر كتبهم مشتركة.

---

[36] توفي نحو سنة 1285هـ.

[37] ويعرف بأبي الغنم، وكان له ثلاثون راعياً، توفي سنة 1305 هـ.

[38] ولد سنة 1298هـ.

خضر لطفي أفندي:

من مشاهير رجالهم، العارفين بأحوالهم جيداً، وله اطلاع على المقابلات في بعض العقائد، صار حتى بكل ما عندهم، وجاهر في القول، فعلمت ما كنت متردداً فيه، أو لم أقطع في نسبته إليهم وكان ما عنده كافياً وله طمأنينة أكثر فيما أبدى لمعرفة هذه النِّحلة.

والرجل فاضل، كامل من وجوه كثيرة، ولد في بلدة كركوك سنة 1880 م، سمعت أنه توفي في قبل بضع سنوات وذكر لي أنه من الكاكائية.

كتب الكاكائية

لا يعتمد على الكاكائية فيما يقولونه، إلا أن يؤيد من غيرهم، بل يصرحون بأن عقائدهم مكتومة، ولا يبوحون لها ولا يجوزون هتك السر، ولا يعول على أعدائهم، ومن يتقول عليهم، والمشاهدات لا تصدق كثيراً، ومن الضروري التحري عن مؤلفاتهم، حاولنا محاولات كثيرة، وراجعنا أصحاب هذه النحلة، فلم نظفر بطائل، ولم يبطئ خذلان، وإنما استمررنا في طريق التتبع، وهذا ما دعا أن نتمكن من معرفة جملة كتب لا تزال مرعية عندهم مما توصلنا إليه:

1- خطبة البيان: من أشهر ما عرف عنهم، يعدونها من أعظم كتبهم وأجلها، لا يرغبون في أن يطلعوا أحداً عليها، أو أن يقرأها امرؤ غيرهم، لما فيها من غلو وأوصاف وتنسب إلى الإمام علي (رضي الله عنه) ويطعن بها علماء الأخيار من جهة أنها خبر آحاد وضعيفة السند لاسيما وأنها منقولة من مشارق الأنوار للشيخ رجب البرسي وقد حكم العلماء بغلوه لمخالفته لصريح الكتاب شاعت هذه الخطبة من طريق الغلاة من نصيرية وخطابية وشلمغانية وأمثالهم، وهي من موضوعاتهم.

وعليها شروح كثيرة، حصلت على شرح مخطوط كتب باللغة التركية، وفيه ما يعيّن معتقدهم، ومن الخطبة نسخة في دار كتب المشهد الرضوي، وهذا مؤدى ما قاله صاحب الفهرس:

هذه الخطبة منسوبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) مشتملة على الكثير من المغيبات والملاحم، ومعروفة عند أرباب الحكمة العملية، وأصحاب الباطن، مسطورة في بعض الكتب، ولكنها لم تدون في كتب الحديث المعروفة للإمامية، وأولها بعد البسملة « الحمد لله رب العالمين بديع السموات وفاطرها » وساطح

المدحيات ووازرها... إلخ، كتبت سنة 923 هـ، بقلم جمال الدين المقري درويش علي"[39].

ومن هذه الخطبة نسخة في مكتبة برلين.

وجاء في كشف الظنون أنها سبعون كلمة، قيل: إنها من المفتريات، ولها شرح بالتركية مجلد، معروف، متعاون بينهم، ويتكتمون في مطالعته، ولا يرغبون في إذاعته[40].

ومثل هذه الخطبة (الخطبة الطتنجية)[41] و(خطبة الافتخار)، والأولى شرحها الشيخ كاظم الرشتي في مجلد واحد، ذاعت من طريق الغلاة كما ذاع خبر معرفة الأئمة بالنورانية، وخبر بيان مقامات المعرفة للقائلين بألوهية الإمام علي وأولاده، فأنكر جمهور العلماء نسبتها وإن كان قبل أرباب وحدة الوجود بها من وجه وكان الكشفية قد قبلوها وأيدوا صحتها، ويعد الكاكائية من أهل الوحدة، وقبولها كقبولهم، إلا أن الكشفية لا يقبلون الظهور والوحدة إلا في الأئمة.

2- (جاودان عرفي):

وهذا يعد من كتبهم المهمة، ونرى فضل الله الحروف يصاحب مكانة في نفوسهم، يحترمونه، ويرجعون إليه في مطالبهم، بل يتبعون آراءه وكتابه جاودان عندي نسختان منه، وهو منتشر اليوم فيما بينهم باللغة التركية، وباللغة الفارسية، ورأيت نسخة منه في التركية بإستانبول، طبع من مدة طويلة، وكتب الحروفية من كتبه ذكرتها في تاريخ العراق[42].

3- حياة: لم أره وإنما أسمع عنه.

---

[39] فهرس خزانة المشهد الرضوي – الأخبار، ص37 برقم 4227 أو، ج1، ص36.

[40] كشف الظنون، ج1، ص360.

[41] شرح الخطبة الطتنجية للشيخ كاظم الوشتي المتوفى في 9 ذي الحجة سنة 1259هـ- 1884م، عندي مخطوطة منها كتبت بخط نفيس جداً مجدولة بالذهب، وعندي غالب كتبه مخطوطة.

[42] تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص246 وج 3، ص45.

4- توحيد: وهذا فارسي، تأليف سليمان أفندي الكاتبي، وهذا لم أره أيضاً، ولكن أكد لي عديدون منهم أنه من كتبهم المعروفة المتداولة.

5- ديوان ويراني.

6- ديوان أبدال.

7- بكتاشي نفسلري: وهذه يتغنون بها، أو يستظهرونها، وهي مختار شعر البكتاشية.

8- ديوان نسيمي: متداول كثيراً.

9- ديوان فضولي: مثل سابقه، وهو أقرب إلى القزلباشية إلا أن الشعر مشترك.

10- ديوان روحي: منتشر فيما بينهم.

11- فرقان الأخبار: وهذا للحاج نعمة الله، وتوفي نحو سنة 834هـ- 1430 م، وعزته دائرة المعارف الإسلامية لأهل الحق، وهؤلاء معين الكاكائية، وهم من أتباع الحلاج، وعندي نسخة مخطوطة في أهل الحقيقة.

12- فرقان أهل الحق: لم أتمكن من مشاهدته.

13- كتاب سرانجام: ألفه ملا عابدين، وهو من كتبهم المتداولة اليوم، نقله معالي الأستاذ بهاء الدين نوري إلى العربية، ولم يطبع.

ويعد من الكتب المهمة في ظهور الله تعالى في بنت عذراء، وخروجه للعالم، وكان ظهوره لمرات منها (علي المرتضى)، وآخرها (شاه عالين) وفيه معارضة ظهوره من أمراء الأكراد، ثم الإذعان لقدرته وعظمته والإيمان به.

وافق ظهوره أيام بابا طاهر (انلري) أو بعده في تكية بهمذان وتجلت قدرته في مواطن، وجاء لفظ (كاكا) وصفاً لأتباعه، ولم تتعين نسخة هذا الكتاب وإنما نقل إلى الإنكليزية، ولم يسم الأمراء الذي أطاعوا وأذعنوا للقدرة ليعرف زمنه بالضبط إلا أن بابا طاهر انلري يعيِّن نوعه، وفي هذا الكتاب تظهر العلاقة بالتكية ويعرف بالظهور، وهو عين ما عند الكاكائية، وللكاكائية في منالي تكية باسم بابا طاهر، ولا يبعد أن تكون على مثال تلك التي في همذان.

14- زبور داود: عندي نسخة منه عربية مخطوطة.

15- ديوان بسيني: مملوء غلواً وهو الوحيد الذي يصرح به أنه نصيري.

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية الكتابين فرقان أهل الحق وسرانجام وهما من كتبهم قطعاً أوهم الأخية القزلباشية مرعية عندهم، ولا يفترقون عنهم، وإن هداية، ومرشد، وبويروغ من كتبهم أيضاً، وإن طريقتهم هي طريقة الشيخ (صفي) صافي أحد أجداد الشاه إسماعيل الصفوي، ولا تختلف إلا في الأخذ عن الرؤساء.

هذا ونقل كثيرون أنهم يقولون: «كتابنا في الشجرة، فأكلته البقرة[43]» ويعنون أنهم ينحون باللائمة على أهل الرسوم، فمن الأولى أن لا يقرؤوها وأهل قلم حاج ودو شيخ[44] على هذه الطريقة، وأكد لي الأستاذ هجري دده أنهم لم تكن لهم مؤلفات، وإنما كتبهم صدورهم يحفظون بعض المقطوعات الشعرية يعبرون عنها (بأنفاس) لأكابر شعرائهم، وهي مختارات شعرية.

قلت له مرة: إن الوثائق التاريخية قد تكون مفقودة، أو تعوز من جهة أنها لم تدون في وقتها، أو أصابها الدمار أو عند من لا يعرفون لها قيمة وقد أهملوها، أما القوم فلا يزالون، وكيف لا تكون لهم (طريقة) وأنت مرشد معروف؟! وإلا كيف يسوغ لك أن تتكلم؟

تلعثم، وقال: أتحرى بعض الكتب، ولكني قطعت الأمل منه، ولم أظفر بطائل، وقلت إذا كان منك هذا التخفي، فلا مجال إلا أن تركن إلى المسموع، وتميل إلى المتقوَّل حتى يتبين خلافه، ويظهر سواه، وكيف تمنع من إبداء الحقيقة؟ بل لماذا تلومون غيركم في التقول عليكم، أو القول فيكم؟

كل هذا لم تبد له فائدة، وكيف تبدو والأساس أن يكتم، والكتب المذكورة لا تعين سلوكاً ولا تبين طريقة؟

---

[43] منقول عن دي شيخ وقلم حاج في مندلي، ذكر ذلك لي الأستاذ السيد خطاب المحامي. وكان قاضياً هناك في العهد العثماني.

[44] مر الكلام عليها وأنها على رأي يراد بها (شيخان) كما في لغة العرب، والصواب أنها (دي شيخ) كما ينطق بها ومعناها قرية الشيخ، قال ذلك في سياحتنامه حدود.

عقائد الكاكائية

عقائدهم إسلامية إلا أنه دخلهم الغلوّ، ولعل أكبر مؤثر على هذه العقائد (الحسين بن منصور الحلاج)، وأن الوقائع الكثيرة دعتهم أن يتكتموا، وكانوا تأثروا كثيراً برجال السهروردية الذين جعلوا كتب الغلاة أصلاً لتصوفهم، وأول ما دب ذلك في هذه الطريقة كان في أواخر القرن السابع، فيما بعده.

لا يستطيع المرء أن يتمكن اليوم من معرفة عقائدهم بوضوح، فإنهم لا يصرحون بها ولا يعلنون عنها، وفي هذا الغموض لا نريد أن نشوشها عن أكابرهم، والمعروف منهم قطعاً من آثارهم، ومن الخطأ أن نقول: إنهم يعتقدون أن علياً (رضي الله عنه) إلهاً، أو أن من ذكرتهم (دائرة المعارف الإسلامية) من ذكر (أهل الحق) وأنهم غيرهم فهذا غير صواب، بل الكل على عقيدة واحدة.

1 - الاعتقاد بالله:

وهذا عندهم من أعوص العقائد وأكثرها غموضاً وتبسيطه عندهم مبني على أن الألوهية لا يمكن إدراك كنهها، ولا تصح معرفتها بوجه أو لا يتيسر الاطلاع عليها، أو الوقوف على معرفتها من جراء أن الله لا يصح وصفه أو نعته ليس من الصواب تسميته، أو الاتصال به من طريق ما إلا في حالة واحدة بأن يظهر في الأشخاص رأفة منه بهم، ورحمة، وقد ظهر في أدوار كثيرة (أدوار الظهور)، يرون أن البدن واسطة الظهور وأن الله نور لا يمكن وصفه، ولا إدراكه، ولا معرفة حقيقته بوجه.

وإنما برز للعيان بطريقة الحلول، والاتحاد ملازم له، غير منفك في أشخاص كانوا أمام العين، ترهقهم الأنظار، وتشاهدهم الأبصار، ممثلين لا يرتاب فيهم مرتاب، كما أن الملائكة تتقمص صور البشر، وذكرت في (تاريخ العراق بين

احتلالين)[45] عن (العلي اللهية) ما يوضح هذه العقيدة عند هؤلاء، بل لا يقولون باختصاص الإمام علي (رضي الله عنه) بهذه الخصيصة، وإنما نال الكثيرين الظهور قبله وبعده، وهؤلاء معروفون عندهم، ويرددون ذكرياتهم.

والنصيرية على هذه العقيدة أيضاً ويهزؤون ممن يقول بالاختصاص، وليس هناك من يعتقد بألوهية الإمام وحده دون غيره، وكلام البندنيجي، وصاحب النواقض صحيح في قضية الحلول[46]، وأنهم نصيرية بهذا المعنى، أو يشتركون معهم، بل قد لا تكون علاقة بينهما ولم تظهر صلة ما إلا أنهم يتفقون معهم في ذلك، وأصل هذه العقائد معروف، وكذا عند أهل الإبطان، ومن رجع إلى كتب فرق والنحل علم ذلك بوضوح، قال ابن ساعد في كتابه (إرشاد إلى أسس المقاصد):

ومن الفرق (الحلولية) و(الاتحادية) ومقالاتهم متقاربة إلا أن تصورها عسر فيقال: إن الحلولية يدعون حلول روح القدس في قلوبهم عند نهاية العرفان والتجرد، والحسين بن منصور الحلاج يقال عنه هذه المقالة.

ويقال: إن الاتحادية يدعون اتحاد سر العبد بالمعبود عند نهاية عبادته، وبالجملة فالتعبير عن مذهبهم مشكل فكيف تحقيقه. انتهى[47].

والحق أن هؤلاء لم يفرقوا، وجاء توضيح الاتحاد والحلول في (كتاب أوصاف الأشراف) وفي كتب كثيرة ظهرت وتداولتها الأيدي، وفرق بينهما.

فهذه العقيدة عقيدة الكثيرين من غلاة التصوف ولا يصح توجيه اللوم عليهم وحدهم، وهنا يلاحظ أن الاشتراك مع النصيرية في ناحية قد يوهم أنه في الكل والحال أنهم لا صلة بينهم، ولا اتصال مشاهداً، وكتب النصيرية عربية، سالكة عين السلوك إلا أن هؤلاء شاع عندهم (كتب الإيرانيين والترك) لا من طريق النصيرية مباشرة، والاختلاف في اللغة بيّن، وكل ما هنالك أن القوم يعتقدون بالحلول.

---

[45] تاريخ العراق بين احتلالين. ج3. ص180 وج 3. ص151 و153.

[46] يأتي الكلام عليها.

[47] إرشاد المقاصد إلى أسمى المقاصد. ص65.

ولا يبعد أن يكون الأصل واحداً إلا أن الأقرب أن تكون دخلتهم هذه العقيدة من طريق (عبادة الأشخاص)، وتتفق وسائر عقائد الغلاة وعقيدة الإسماعيلية والدروز، فالأمر غير مقصور على النصيرية، اعتقدوا بصلاح رجالهم وأكابرهم اعتقاداً خرجوا به من طريق المباحثة، ورسخ كعقيدة لا تتزعزع، وإلا فالكاكائية في الأصل أرباب طريقة الفتوة أو طريقة السهروردية أو الطريقة الصفوية أولا يختلف بعضها عن بعض فدخلهم ما دخلهم.

نعم إن هؤلاء الآن أقرب إلى النصيرية وإن كنا لا نجد لهذه أثراً لهذه التسمية ولا إشارة بوجه، ولعلهم تباعدوا من زمن قديم من جراء بعد الدار، وبسبب الاستقلال برؤساء انقطعت علاقاتهم بأولئك، وهكذا، فإذا كانت لا تبوح بسرها، ولا تعلن عن عقائدها أو تباشر الدعوة فقد جهروا بها ببعض هذه المطالب، ولعل هذا أعظم مكتوم، وأبرز مفهوم، عرف عنهم من أيام صاحب كتاب التواقض ومن بعده، ولكنه لا يدخل في تحقيق بل هو بين تأييد أو إنكار للتعمية والتشكيك.

وفي رحلة المثنى البغدادي لا يفرق بين القزلباشية، وبين كاكائية، وإنما سمي الكل بالعلى اللهية، ومن أبرز صفاتهم اعتقاد الحلول والاتحاد لا علي (رضي الله عنه) وحده ونحلة وحدة الوجود معروفة بينهم قطعاً، فلا يصدق عليهم هذا الوصف من كل وجه، إلا أنه أشهر أوصافهم فشاع عنهم.

وخير ما ينطق عن هذه النِّحلة أو الطريقة شعرها المتداول المألوف، وفي شعر نسيمي الذي يرددون ذكره بينهم [48]، وفي مقطوعات (ويراني)، و(إبدال) ما يغني عن تحري عقيدة أخرى غير الحلول فهي عقيدة أساسية، لا يتهاونون بها بوجه، ومتى يجري الحلول؟

إن هؤلاء يقولون: النفس أو الروح تطهر بـ (طريق التناسخ) وينالها الصفاء، ويكون في ألف مرة حتى تكون في (1001) قد صارت (مظهراً للألوهية)، أو (محل

---

[48] تاريخ العراق بين احتلالين ج3. ص45 – 54.

التجلي) ولا تكون قبل هذا، ولكنها قد تطهر، وتصفو قبل الألف المرة، وتظهر عليها بعض الخوارق، ولا تكون بوجه محلاً للتجلي إلا بعد أن نجتاز المراحل، ولكن ظهور بعض الخوارق لا يخول الادعاء أو القول بالحلول سوى أنها تحترم من جراء صفاتها.

ومن ثم يتعين أن المرء منذ الحلقة الأولى ينتقل بطريق التناسخ، ويقضي أدوارَ تنقّله كلها (1001) ومن ثم يناله الحلول في المرة الأخيرة، ويكون (الله)، ويقولون: إن الله تعالى لا تدركه الأبصار مجرداً، ولا تصفه العقول، وإنما يظهر للعيان من هذه الطريقة أعني (طريقة الحلول) ومن مصطلحاتهم (الكور)، و(الدور).

ولعل هذا البيان كاف لمعرفة التناسخ والحلول معاً عند القوم، وهذه العقيدة دخلتهم في حين أننا لم نجد لها أثراً سابقاً في طريقتهم (الفتوة) وكتبها، وإنما جاءتهم من أهل النحل الأخرى، وإلى هذه العقيدة أشار أبو العلاء المعري فقال:

يقولون إن الجسم ينقل روحه إلى غيره حتى يهذبه النقل

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

وهي من العقائد القديمة.

ومما يمثلون به لقبول الظهور أو الحلول أنهم يقولون: إشعاع الشمس أو النور لا يظهر في كل جسم مثل الحجر، والحديد، والخشب وهكذا، ولكنه يظهر في المرآة، ويتجلى في ذاتها كأنه عين ما مثل، وهكذا الأجسام الصافية المصفاة، وعندهم وقائع محفوظة تدل على الحلول.

2- وحدة الوجود والموجود

وهذه ظاهرة في شعرهم أيضاً، بل هي أصل الحلول وسابقة له في العقيدة، ولا يسلم بالحلول والتناسخ إلا بعد التسليم بها، وينطلقون بها كثيراً ولم يخرجوا بها عن سائر الشعراء من أرباب الوحدة من أهل التصوف وأهل الإبطان الذين يعتقدون أن الكون هو الله، أو أصله الله، والكل يرجع إليه، ويعود إلى حقيقته، ومسائل

الوجود، والماهيات مجمولة أو غير مجمولة مما هو معلوم في مؤلفات كثيرة، ومبسوط في كتب كثيرة جاء مفسراً لذلك.

وهذه العقيدة تختلف كثيراً في شعرهم وفي عقائدهم فيراد بها الموجودات، أو ماهياتها قبل أن تنال أوصافها المشاهدة، وهكذا الاختلاف لفظي من جراء أن النتيجة واحدة تباين فيها.

والكشفية في العراق كثير منهم لا يقبلون بالوحدة؛ لأنها عندهم لم تجيء إليهم من طريق آل الرسول، وعدوا أربابها من الملاحة إذ لم يقصروا الظهور على الأئمة وحدهم، وأوضح ذلك الملا محسن القبض في كتابه (قرة العيون) قال:

« قال بعض العارفين: إذا تجلى الله بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها، وهي أعضاؤه لا يلم بواحد منها شيء إلا وهو يراه ملماً به، ويرى ذاته الذات الواحدة، وصفته صفتها، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، ولما انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القدسية وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق (إلى أن قال):

ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في (خطبة البيان) وفي خطبته الموسومة (بالطتنجية) وغيرها من نظائرهما كقوله عليه السلام: أنا آدم الأول، وأنا نوح الأول، إلى آخر ما قال من أمثال ذلك. انتهى».

وله كتاب (كلمات مكنونة) لا يخلو من أمثال هذه الأقوال، والكشفية يعدون كل ما ينقل عن الأئمة من الغلوّ لا يسوغ تكذيبه، وإن تضعيف ذلك وتوهينه غير صحيح، ومن يستطيع أن يكذب على الأئمة أو يفتري عليهم، فقبلوا كل ما نقل الغلاة عيناً استناداً إلى هذا السبب.

3- التناسخ:

وهـذا مـن عقائـدهم الأصـلية ويعـد لازمـاً للحلـول، ومتـأخراً عـن الاعتقـاد بالوحـدة، بـل سـابقاً لأصـل الحلـول، وإن هـذا نتيجتـه، فـإذا لم يـتم التناسـخ، فـلا يكـون الحلـول أبـداً، وفي هـذا لا يفترقـون عـن (مـذهب الاتحاديـة) مـن أهـل التـصوف الغـلاة، وهكـذا عنـد النـصيرية، وهـو تنقـل الـروح العاديـة مـن بـدن إلى آخـر حتـى تطهـر وتكـون صالحة مجردة عما ارتكبته من أعمال، أو أصابها من مصيبة، أو اقترفت من جريرة.

ومـن ثـم تـرى التباعـد عـن طريـق الفتـوة فـيما هـم عليـه الآن ولا تقطـع في تـاريخ دخـول هـذه العقيـدة في (الكاكائيـة) بالـضبط، بـل في أواخـر المئـة الـسابعة والثامنـة للهجـرة، وإذا كانـت الطريقـة في أصـولها لا تـزال باقيـة، فـإن العقيـدة دخيلـة، ولا شـك أن الغـلاة دخلـوا مـن طريـق التـصوف، وهـو (تـصوف الغـلاة)، وهـذا لا يفـترق عـن (عقائـد النـصيرية)، وعـن (عقائـد الـدروز) و(الإسـماعيلية) في حقيقتـه وماهيتـه، وأمثلـة هـذه العقائـد يوضـحها مـا يعتقدونـه في الـشيخ إبـراهيم (أحـد مـزاراتهم الآن) أنـه ظهـر لـست مـرات، وسـيظهر للمـرة الـسابعة، ممـا يوضـح فعـلاً عقيـدة التناسـخ والحلـول، ثـم إن الاتحاد من مظاهرها.

كانـت الأخيـة القديمـة أو الكاكائيـة الحـاضرة تابعـة لطريقـة الفتـوة، ثـم مالـت عـن (أصـل العقيـدة) بـدخول أهـل الإبطـان بـين صـفوفهم، وبـرزت عقائـدهم، وإن كانـت لا تـزال ظـواهر الطريقـة باقيـة، كانـت دخلـتهم لأول مـرة نحلـة (الإسـحاقية) وإن (سـلطان إسـحق) المعـروف اليـوم هـو مؤسـس نحلتهـا، وكانـت في العـراق، فلـما رأت تـضييقاً، وشـاهدت تعـدياً ومنـاوأة تقمـصت بالأخيـة أو الكاكائيـة، وأبـدلت الاسـم، وأبقـت العقيـدة أو أنهـا دخلتهـا هـذه العقيـدة مـؤخراً وهـو الأرجـح، إلا أننـا تعوزنـا النـصوص في تـاريخ العقيـدة، وتـاريخ الطريقـة، ومعرفـة سـبق أحـدهما عـلى الآخـر؛ لأن الأمرين مشهودان.

وهنـاك أمـر آخـر غـير النسخ يسمى بـ (الرسـخ) وآخـر يقـال لـه (المسخ) وهـذه مـصطلحات معروفـة للتفريـق بـين المـراد مـن كـل واحـد عـلى حـدة، فيـستقل كـل مصطلح بمعناه.

4- القرآن الكريم والرسول:

وهـؤلاء لا يتلـون القـرآن، ويعـد في نظرهـم غـير معتـبر؛ لأنـه مـن جمـع عـثمان (رضي الله عنـه)، وعنـدهم داود يـرجح عـلى النبـي (صـلى الله عليـه وسـلم)، ولم يكـن هـذا هـو النبـي داود (عليـه الـسلام)، وإنـما هـو مـن رجـالهم أصـحاب الحلـول، ولـه (كتـاب زبـور داود) عندي نسخة مخطوطة منه.

يقولـون: إن القـرآن مـن نظـم محمـد (صـلى الله عليـه وسـلم) ولا يـستدلون بآيـة منـه إلا لغـرض تأكيـد عقيـدتهم أو بقـدر مـا يراعـي فـضل الله الحـروفي مـن تأويـل آياتـه لتوافـق مـا عنـدهم مـن إبطـان، وعنـدهم مقطوعـات شـعرية لأهـل الظهـور تـرجح عـلى القـرآن، وخطبة البيان لا يرجح عليها القرآن.

يقولـون: محمـد كبـير، ويقفـون عنـد ذلـك باعتبـار أنـه ملقـن مـن الإمـام عـلي، ولكنـه راعـي الظـاهر ولم يبـال بالبـاطن، بـل لم يقـف عليـه ولا عـلى دقـائق أسراره، ولا عـلى مـراد الإمام علي.

5- اليوم الآخر:

كـل مـا حاولـت تفهمـه أنهـم يريـدون (بـاليوم الآخـر) يـوم (ظهـور الله) في شـخص وحلولـه فيـه، وهـو اعتقـاد (غـلاة التـصوف) أنفـسهم، وهـذه العقيـدة هـي معتقـد الغـلاة الآخـرين، وهـي في الأصـل لا وجـود لهـا عنـد المـسلمين، بـل يكفـرون القـائلين بهـا، وإن الاعتقـاد بـاليوم الآخـر مـن أركـان العقيـدة الإسـلامية، والمنقـول أنهـم يلقنـون موتـاهم بقولهم:

إذا جـاءك منكـر ونكـير فقـل: عنـدي كـذا حنطـة وكـذا شـعير، وكلهـا مـدخرة في المخـازن الفلانيـة، فـإذا لم يـرضَ فأعطـه صـحن عـدس، وفنجـان خمـر فـإن لم يقبـل فقـل

له: أنا كاكائي اغرب عني، واذهب إلى غيري، وحينئذ يذهب عنك وامض أنت إلى الجنة.

وهذه القصة نؤيد أنهم لا يلقنون الميت بالشهادتين، ولا يبالون بالموت مما يؤيد الانتقال والتناسخ إلى أمد بعيد فلا معنى للركون إلى هذه العقيدة أعني الاعتقاد باليوم الآخر، ولا يعرفونها، وهذه القصة منقولة عن الشبك أيضاً، والكاكائية لا يبكون على ميت بعويل وصراخ، وعندهم الحزن عليه غير جائز سوى أن القبور عندهم محترمة، وإذا مات امرؤ جاؤوا إلى مرقده بطبول(دمامات) واحتفال مهيب، ولعل للاعتياد دخلاً في ذلك.

والملحوظ أننا لا نراهم ينفرون من عقيدة، ولا يبالون بها، وعندهم لا فرق بين واحدة وأخرى، ولا يعدون أنفسهم مكلفين بواجب شعي، ومن الكتب التي كانت في مشهد الإمام أحمد في كركوك (ديوان فضولي)، و(خوشيار دده) و(حافظ الشيرازي).

ومن المهم الإشارة إلى أنهم يعتقدون بصدق كافة العقائد وإن كانت متباينة أو متخالفة، فلا يفرقون في هذه الحالة عن سائر الغلاة، ومنهم (غلاة التصوف) أبداً، والأسس واحدة.

وكل ما يقال في اليوم الآخر عندهم أنهم يفسرونه بظهور صاحب الظهور ومتابعته وأن معرفته حياة أخرى، وفي كتب البكاشية مثل (كتاب آخر تنامه)لابن فرشته ما يوضح ذلك ويقول: هذه العقيدة تعني معرفة هذا السر.

الإسحاقية

ويوضح عقيدتهم هذه ما حكاه لي بعض رجالهم[49] بكل صراحة إن الأعاظم الذين نعتقد فيهم أنهم أنبياء، أو أئمة، أو أولياء، كيف يسوغ لنا أن نقول أنهم ماتوا؟ نحن لا نقول ذلك، وإنما نقول بانتقال أرواحهم بطريق الحلول كما مر الكلام على السيد إبراهيم فالأرواح تنتقل وتتناسخ.

قال محدثي بهذه الكلمة، ذكرها لا شائبة ولا تردد.

ومن مشاهير رجالهم داود، وإسماعيل، وإسحاق، وهؤلاء مشايخ ولم يكونوا أنبياء، ولهم طاعة عمياء للرؤساء أوإن رجالهم المذكورين نسوا حالاتهم الأولى ولم يعودوا يعرفون عن تراجمهم شيئاً، وقد حاولت كثيراً أن أجد عنم شيئاً، فلم أظفر بطائل، وأساساً أن جبال حلوان موطن الغلوّ، ومحل انتشاره، والإسحاقية كانوا هناك، وهؤلاء بقاياهم، أو صاروا إسحاقية وحافظوا على اسم الكاكائية.

قال السمعاني: « جماعة من أهل الشيعة يقال لهم الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن محمد العجمي[50] الأحمر الكوفي، يعتقدون في علي الإلهية » وبعد أن عدد المنتسبين إلى الإسحاقي قال:

« وأبو العلاء صاعد بن يسار، الإسحاقي، توفي سنة 520 هـ، وكان منصرفاً من جنازة جابر بن عبد الله الأنصاري من (كار باركاه) فمات بفروج قرية على طريق جماعة من أهل الشيعة يقال لهم الإسحاقية. انتهى.

هذا مع العلم بأن جابر الأنصاري لا يزال مرقده معروفاً في أنحاء اللر الفيلية ويدعى (باوه جابر الأنصاري)، واليوم غالب اللك، والكلهر منهم، انتشروا في هذه الأنحاء ولا يزالون، ولم يبق ارتياب في أنهم من بقاياهم، تقمصوا (الفتوة)، ولعل

---

[49] الأديب خضر لطفي.

[50] لباب الأنساب لابن الأثير، ج1.

هذا سبب تكتمهم، يخشون الوقيعة، والأيام في ذلك الحين كانت تجاربها قاسية جداً، وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي أن الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن عمرو، وفي رسالة مخطوطة عندي ناقصة الأول.

ولم أتمكن من معرفة مؤلفها يقول عن الإسحاقية نسبوا إلى إسحق بن عمرو، وفي رسالة مخطوطة عندي ناقصة الأول، ولم أتمكن من معرفة مؤلفها يقول عن الإسحاقية: إنهم يقولون بمقالة النصيرية في الجملة، وبينهما خلاف لا يطلع عليه غيرهم لإخفائهم كتبهم، وقد علمت من خبيرين أنهم يشتركون والنصيرية، ولكنهم يختلفون في بعض المطالب ».

أرى في هذا كفاية مما يبصر المتتبع، ويهديه للتوصل إلى الغرض، ولا معنى لتدوين جميع ما يسمع عنهم، فنحفظ الصواب بالغلط، وإنما ذكرنا ما تأكد بالنصوص التاريخية وهو معروف عنهم، وهنا نكرر أن تخفيهم في كتبهم، واجتماعاتهم السرية ساقت على التقولات عليهم، خصوصاً أن هؤلاء ممن يقول (برفع التكاليف) كسائر غلاة المتصوفة، فأدى إلى الإذاعات المتكررة عنهم، والذي أمكن من المعرفة أنهم لم يتغير موطنهم إلا أنهم تقلصوا عما كانوا، أو مالوا إلى أنحاء (كوران)[51].

ومهما يكن من الأمر فلا جديد تحت الشمس، وإن (عقائد الكاكائية) لا تختلف عن عقائد الغلاة في ضروبها وهي في الأصل (طريقة الفتوة)، فلا نضرب أخماساً في أسداس، أو نبدي تخرصات في تدوينات من الشائع، أو مما شأنه أن يؤدي معنى التشنيع، مع أنهم في مواطن كثرتهم لا يترددون من إعلان عقائدهم، وهذا هو سبب تكتمهم في أنحائنا، وإلا فلا يقال عنهم كما قيل عن (اليزيدية) أنهم استولى عليهم الجهل فعادوا لا يعرفون عقيدتهم أو ما ماثل فهؤلاء أعرف الناس بما عندهم،

---

[51] تكلمت على عشائر كوران في كتاب عشائر العراق الكردية في صحائف كثيرة منه.

وبينهم من يناضل عن عقيدة الحلول والاتحاد والوحدة، وأدلتهم يدعمها مشاهير من (غلاة التصوف).

والملحوظ أن هذه العقيدة لا تختلف عن عائد الباطنية، تتفق مع القزلباشية من كل وجه، وكلهم يعدون كل من أكمل دورته من التناسخ نال الألوهية بانتقال روح الله فيه لا أنهم يعتقدون بعلي (رضي الله عنه) خاصة بأنه إله، بل بظهور آلهة متوانين لا علياً وحده، ولكنهم يدعون ذلك (تجليه) ولا يقولون حلولاً، وهذا أشبه بـ (الفيض) وبـ (النفحات)، وإلا فكتبهم مشتركة في الكل بلا فرق، ويشترط عندهم للظهور خوارق يرونها فيمن يتجلى به الله، وهذه لها إشارات وعلامات وإلا فلا يقبل هؤلاء من كل من تظهر منه الخوارق أن يدعى بها ادعى به من الظهور.

ولا تختلف القزلباشية عنهم إلا في أن طريقتهم طريقة الشيخ صفي الأردبيلي، والكل مشتركون في الأخية إلا أن الرؤساء افترقوا، وأثلها كلها الفتوة، عرفت لما يلبسونه من قلنسوة، واللفظة تركية صاحبها يقال له قزلباش (أحمر الرأس) ويراد به صاحب القلنسوة الحمراء.

المؤاخاة

هذه من أساسات نحلتهم، بل أنها مأخوذة من (طريقة الفتوة)، أو السهروردية، فالباباوات في الأصل رؤساء الطريقة، يؤاخون بين بعضهم والبعض الآخر، ويكونون (إخوة) أي (كاكائية)، لا يفترقون عن الإخوة بوجه، ولها مراسيم يجتمعون عليها، ويقدم الواحد ما عنده من طعام ويقرأ دعاء الاحتفال بهذه، وإجراء الفرح من أجلها ولها عندهم مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة، ولا يخلو كاكائي من مراعاتها، وربما شاركوا الإسماعيلية فيها على أساس﴿ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة المجادلة: 12].

ويقوم بها السادة (الباباوات) يعقدون لها، ويمنع الأخ من التزوج بأخته، وتعد أمها أمه، وأخواتها أخواته، وهكذا.

وأصلها من المؤاخاة بين الصحابة، ولكنها تطورت، وفي الطريقة السهروردية جاء أنه: « من أدبهم أنهم لا يرون لأنفسهم ملكاً يختصون به، » وجاء فيها أيضاً أن من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة، وهكذا حتى اكتسبت شكلها الحاضر عندهم، ومثلها (كريف) (قريب) عند اليزيدية بلا فرق، بل عند الباطنية جمعاء في غالب مؤسساتهم.

طبقاتهم وصفوفهم

1- السادة: وهؤلاء هم الأمراء ورؤساء الذين جمعوا بين الإمارة والرئاسة الدينية.

2- الدليل: ويسمى عندهم (مام)، وأصلهم خلفاء سلطان إسحق من غير السادة، ولهم منزلة عندهم، ويتولون الإرشاد، ويقال للواحد منهم (مرشد) أو (بابا) وهم صنف خاص (البابائية).

3- الإخوان: هم الباقون المعروفون بصورة عامة (كاكائية)، وهذا اسمهم المعروفون به، وفي الأخوة تتجلى (الفتوة) أو (الكاكائية) أو (الأخية) وغرضها التعاون.

اللعن والسب

هـؤلاء يـستنكرون اللعـن والـسب، فـلا يـضمرون لأحـد غيظـاً، فـلا يـسبون أحـداً، ولا يحتقرون ديناً، ولا ينددون بعقيدة.

هـذا مـا عـرف عـنهم بـصورة واضـحة، فـلا يهينـون أصـحاب عقيـدة، وعـلى كـل حـال نجـد اللعـن والـسب ممقوتـاً مـن كافـة طوائـف الـصوفية، وكثـير مـنهم يـشدد النكـير عـلى مـن يـسب، وقـد بـدا مـن بعـض فـرقهم أن لعـن الـشيطان محظـور، وإذا كـان علـماء في بعـض طـوائفهم، فـلا شـك أن ذلـك يـدعو للـشمول، ولعـل بعـض طـوائفهم هـذا شـأنها دون سائر الطوائف.

والمعـروف عـنهم أنهـم يحترمـون الـشيطان وأكـد لي كثـيرون أنهـم لا يـسبون إبلـيس ولهـم عقيـدة فيـه كمتـصوفة كثـيرين لا تختلـف عـما عنـد اليزيديـة، كـما أنهـم لا يبـصقون على الأرض حذر أن يفهم من ذلك السب.

ويعدون من أشخاصهم التاريخية:

الحلاج: وعقيدة أهل الحق ترجع بالانتساب إليه.

وبدر الدين السماوي.

وشاه إسماعيل.

ملا عابدين: معاصر بكتاش ولي، شرح خطبة البيان.

محيي الدين بن عربي.

شمس الدين الفريزي: منهم.

نبازي: وله ديوان، وغالبه في الحلول والانتقال.

نياقي: ديوانه طبع في إيران.

نظير دده: جد الأستاذ هجري دده.

شيخ بابا على المدفون في السليمانية، (توفي قبل مئتي سنة).

فضولي.

نسيمي.

أبدال.

قوشحي أوغلي: وله أشعار تركية متداولة.

وأصل مؤسس هذه النِّحلة أو الطائفة سلطان إسحق ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ علي الهمذاني.

هذا ما علمته منهم، وبعضهم لا يزالون يكررون شعره، يرددون مقطوعاته المسماة (بويرق).

ولعل هذا النسب جاء للتعمية وإلا فالمنقول عن إسحق الذي هو أصل الإسحاقية غير هذا، وربما جعل الصلة للتشويش على الذين لا يعرفون.

أعيادهم

لا يراعون العبادات والتكاليف الشرعية، ويعرفون (بالنيازية) أعني أصحاب النذور، كما يدعون غيرهم (بالنمازية) أي أهل الصلوات، ولكن لا يخلون من القيام ببعض المراسيم الدينية، ففي 11 من كانون الثاني من كل سنة يقومون بصيام واحد يدعونه (يوم الاستقبال)، ثم يصومون ثلاثة أيام يدعونها أيام الصوم، ويوم واحد بعدها ينعتونه بيوم العيد، وليس لهم غير ذلك.

ويقال: إنهم يصومون أول يوم عطارد المعروف بطلوع سهيل يصومون يوماً عنه، ولكن بعضهم ينكر وجوده وبعضهم يؤيده، وربما كان يوافق ذلك اليوم طلوع سهيل، ويقال: إن الليلة التي ينعتها أعداؤهم بـ (ليلة الكفشة) ويسميها كثيرون بـ (الكفيشة) أو بـ (الكرفيشة) جاءت قديماً باسم (الماشوش)، أو (المشوش) ونسبت إلى طوائف وأديان كثيرة[52] وفي كتاب معنى ملوك الأرض.

وفي ديوان أبي نواس وفي كتب كثيرة، وغالب ما نذكر في أن القوم يطفئون السرج ويتصل نساؤهم برجالهم، وأوضح ما رأينا ذلك في كتاب الفرق بين الفرق وجاء في الرسالة جماع هذه النصوص[53] وغيرها ولكننا لا نعتقد أن مثل هذا موجود في أمة أو قوم، وعند الكاكائية اجتماع أهل النِّحلة لأمور دينية، أو للتعارف وما ماثل، وتكون في هذا اليوم، ولعلها يوم العيد المذكور يحتفلون به وهم:

1- النياز أي النذور: أطعمة لا تقتصر على وقت بعينه تقدم نذراً وهي جائزة وفي كل حين.

2- القربان: وهي الأضحية، أو الذبائح، وتجري في خلال شهر من كل موسم وتكون تابعة لقدرة المرء واستطاعته، ولا يحدد مقدراها، ولا وقته، وهي النذور في

---

[52] لغة العرب. ج5. ص368.

[53] الرسالة (المجلة المصرية) عدد 743 و22 أيلول سنة 1947م.

الأولى والقـرابين في الثانيـة، لا نـرى مثـل الكاكائيـة وديعـين، مـسالمين، فهـم أخيـار في أخلاقهم، ومن أمثالهم المعروفة:

1) مـن رمانـا بحجـر شـل عـضده (بـزد طـاش أتاتـك فـولي داراولـسون) فـلا يتـصور أنهـم يعتـدون عـلى غـيرهم، هـذا مـا يقولونـه، وهـي ينبـئ عـما هنـاك مـن خطـة أو طريقـة لهم، فلا يصح أن يقال: إنهم يقعون شراً بأحد.

2) مـن أقـوالهم (مـن بـاع دينـه بـديناره، أو مـن قـال: أنـا فلـيس منـا) أو كـما يقولـون: (دينني ديناره صاتان، من دييه، بردن دكل) هذا من كلماتهم المتداولة المعروفة.

3) مـن أصـولهم أن لا يحتقـروا دينـاً، ولا ينتهكـوا حرمـة عقيـدة، ولا يطعنـوا بأحـد، بـل يعـدون ذلـك مـن دعـوتهم إلى الإخـاء البـشري، أو الألفـة مـع كـل أحـد، وهـذا معروف عنهم في العراق، وفي بلاد الترك، ومع هذا تراهم متكتمين في عقائدهم.

الزواج والطلاق

عندهم الزواج مرعي، ولكنه غير تابع لمراسيم، أو احتفالات خاصة، وإنما هو عقد بسيط، ويكون على يد شيوخهم، ولا يشترط فيه رضا الأولياء والأقارب، وإنما يتوقف على رضا الطرفين، ومبناه أن يحبها وتحبه، فيوافق الواحد الآخر، ويجري يوم الإثنين والجمعة، وهذان اليومان محترمان عندهم، ويعد يوم الإثنين أكبر فلا يعقد في الغالب إلا في هذا اليوم، ولا يجري الزفاف إلا فيه، والاجتماعات العامة تجري في هذا اليوم أيضاً.

وعندهم تعدد الزوجات مسوغ، أو هو خلاف أوامرهم الدينية، ولكن هذا لم يراعه كثيرون منهم إذ تشاهد منهم من تزوج بزوجتين أو أكثر، ولا يتزوج المريد بنت شيخة (من السادة)؛ لأنها بمنزلة أخته، وكذا الشيخ لا يتزوج بنت مريده أو أخته؛ لأنها بمثابة بنته.

وأما الطلاق فعندهم ممنوع قطعاً من أحد الطرفين، وتعليلهم أن العقد جرى برضا الاثنين فلا ينقض أو يبطل إلا منهما معاً لا يستقل به واحد دون الآخر، وإذا كان برضا الاثنين جاز ولا مانع منه، وعلى كل حال إن هؤلاء أهل بادية، وليس لديهم مراسيم ولا احتفالات كما هو المشهود في المدن، والغالب هناك وفي تلك الأنحاء أن ينهب الرجل من يتفق معها، ثم يصالح أهلها، ولا يختلف فيه أهل مذهب، ويعد ذلك عزة للمرأة، فالتي لا تنهب لا تعتبر لها قيمة سنية!!

عادات بارزة

إن عاداتهم وقواعدهم لا تظهر مجموعة في ناحية، ومنها كلها يتعين ما يستحق التدوين:

1. لا يقصون شواربهم، وهذا ما حدثني مشاهير رجالهم أنها علامة للتفريق وأن يميزوا، والحال أنها كما عند (القزلباش) يقال: إن الإمام علياً شرب بقية الماء الذي رسب في سرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند غسله بعد وفاته، ومن ثم صارت تطول شواربه فكلما قصها تعود، وتبركاً بذلك صاروا لا يقصون شواربهم، ومثلهم البكتاشية يراعون تطويل شواربهم.

2. أن يكون الكاكائي أخا الكاكائي وأن تعتبر الكاكائية حراماً عليه فيما عدا الزواج المشروع وأن لا ينظر إليها بسوء وإن تعد الكاكائية الكاكائي أخاها، وبيت الواحد بيت الآخر، وأن لا يميزه عن بيته، فإذا رأى أحدهم أجنبياً مع محارمه فلا يشتبه منه حتى أنهم يقولون: إن الكاكائي يجوز له أن ينام معهم في فراش واحد كما لو كان محرماً، لا يشعر بغرابة فكأنه في داره ولا يجد صاحب الدار ريبة منه، ولما كانت الكاكائيات أخوات الكاكائيين صح اجتماعهم بهن والاختلاط معهن، وليس عندهم تستر، وهذه نتيجة المؤاخاة المارة.

3. أن يطيعوا السيد المعروف بـ (البير) وهو رئيسهم بأن يتابعوه متابعة عمياء، وذلك بعد الاعتقاد بالله ووحدانيته، واتباع داود مع ملاحظة أنهم لا يعتقدون بنبوة أحد، والطاعة عندهم أو البير إذا قال له: افعل كذا لا يسأل عن السبب ولا يفكر فيه، والسيادة عندهم في بيت (السيد محمد)، وهذه متسلسلة إلى إسحق المذكور، وكل الرؤساء تابعون لهم، ومنهم في إيران كثيرون، وبينهم رؤساء ثانويون ولكن الطاعة لهؤلاء، وعندهم لا يجوز الخروج عن أمر السادة.

4. التكاتف والتناصر: ويكون بينهم بلا قيد ولا شرط سواه في تعاونهم أو تضامنهم لدفع خطر من الأخطار.

5. لا يقبل السيد أو البير هدية، وله حق التصرف في جميع أموال الكاكائية، ولكن لا يتصرف بها لنفسه وأغراضه الذاتية أو ليكون متمولاً أو غنياً، وإنما التصرف مشروط بما يسمى بالمصلحة العامة والضرورة الداعية، فلا يسوغ له أخذ الأموال إلا عند الحاجة والأمور المهمة أو الحادثة المدلهمة، ولعل هذا ما يدعو إلى القول بإباحة الأموال.

6. خيانة الأمانة ممنوعة منعاً باتاً، وكذا السرقة محرمة، ومن المحرمات عندهم الأخذ بخفية، ويسوغ لهم النهب والسلب بقطع الطرق، ومع هذا نرى بيوتهم مفتحة الأبواب فهم في مأمن من جماعتهم.

7. لهم لغة مستقلة يتفاهمون بها، وهي أشبه بلسان العصافير، ولا يطلعون أحداً عليها، لغة خاصة بهم.

وفي الغالب يكرر فيها الجيم الفارسية كما أنهم ينطقون أحياناً بكلمات غريبة لا يفهمها غيرهم وتستعمل فيما بينهم.

8- التكتم ومراعاة السر التام: وهذا ضروري عندهم، لا يظهرون عقائدهم، ولا عاداتهم ومراسمهم علناً، ولا يطلعن أحداً عليها، ويعد هذا التكتم من واجباتهم الدينية، وفي أنحاء كركوك يضرب المثل بهم في كتم السر وإخفائه فيقال: كتوم للسر كالكاكائي.

9- الخمر عندهم حرام قطعاً، ومن شربها يعد عاصياً، وهذا من أغرب ما قالوه، والمسموع خلافه، ويعد من قبيل التهاون، كثيرون منهم يشبون الخمر ولا يبالون.

10- يتظاهرون بالإسلام، وقد قبلوه ظاهراً، فلو سئل أحدهم قال: أنا مسلم.

11- يوم الإثنين والجمعة: هذان اليومان محترمان عندهم كما تقدم وحرمة الأول أكبر، ومن عواشدهم فيه: الزواج، وكذا الاجتماعات العامة، وتجري في هذا اليوم.

12- أكلة المحبة: تجري في الاجتماع العام، يذبح الرجل ديكاً أبيض ويطبخ معه حنطة أو أرزاً ويقدم ذلك إلى الشيخ، أو أن رئيسهم يذبح شاة أو خروفاً ويدعو أهل القرية فيحضرون رجالاً ونساء وبنات ويجتمعون معاً في مهرجان كبير يشتركون فيه، ويتخذون رقصاً عاماً هو المعروف عند سائر الكرد بـ (الجوبي) ويكونون أسرة واحدة، يخرجون إلى البادية.

ولهذا المهرجان تأثير كبير عليهم فيفرحون بهذا غاية الفرح والسرور، ويستأنسون به، ويأتي أهلك لبيت بما لديهم من مأكول، ويتناولون سوية لئلا يتكلف السيد عندهم المعروف بـ (البير) لما لا يطيقه ويقرأ دعاء الألفة على هذه الأكلة وتوزع عليهم، فمن أكل من هذه الأكلة المباركة نال الثواب.

والمسموع أنهم عند الابتداء بالأكل يقول البير: (مشت) وهو الإيعاز للشروع بالأكل، ويسمى هذا الاجتماع بـ (خروس كشان)، وهو الذي صارت تحوم حوله الظنون، ويسمون من أجله، (بجراغ سوندران) وهم لا يشتغلون في هذا اليوم وبعد أن يتموا عملهم ينفضون جماعات.

13- الحلف: لا يحلفون كذباً بالبقرة الصفراء (كازرد)، وبـ (بير خاور) أي شيخ الشرق، وبـ (موجه سفر) وبـ (علي)، مما لا يعلق عليه كبير اهتمام إلا من ناحية الاحترام، ولا يعرف وجه هذا الحلف أو لم يوضحوا عنه، وقد مر ذكر بعضه.

وعلى كل حال هؤلاء كلهم تقريباً من الكرد وبينهم ترك، وعدد من في العراق يربو على العشرة آلاف نفس، أما التشنيع عليهم، أو الإذاعة بغرض بيان ما يلفت النظر، فهذا ليس من شأننا التعرض له، فلم نعلم عنهم شيئاً من ذلك.

العبادات

كل ما عندهم أدعية ومناجاة، ولا يتبع فيها أوقات معينة، أو حالات خاصة وأن عندهم قراءة هذه الأدعية عند بزوغ الشمس، أو عند غروبها معتاداً، وليس لهم صلاة، ولا مراسيم عبادة أو أداء مفروضات.

وغالب هذه الأدعية مملوءة غلواً وشائعة منتشرة، فليس لديهم حج، وإنما يزورون مشاهد بعض أكابرهم من أولاد السادة أو من أرباب الحلول، وليس لذلك موسم معين أو وقت مقرر، ورمضان ليس بفرض صيامه، وبيّن لي بعضهم بأن 27 و28 و29 من شهر رمضان يصومونها، وأكد لي آخرون بأنهم لا يصومونها وإنما يصومون ما بين 10 و15 من كانون الثاني الرومي، وآخرون بينوا أنهم يصومون العاشر من أيام شهر رمضان، وهي ثلاثة أيام مما يدل على أنها لا أصل لها، أو أنها اختيارية في هذه الأيام.

نصوص منقولة عن المخالفين

من أهم ما يلفت نظر الباحث أنه حينما يسأل عن تقاليد هؤلاء يسمع كثيراً مما يشنع به عليهم وينقل عن الشيخ رضا الطالباني الشاعر المعروف ما كان قد هجاهم به في قصيدة، كان تحامل فيها عليهم كثيراً.

ويرمون بأنهم إباحية، فتابع شكري الفضلي أيضاً الشيخ رضا، قال:

«يحتم على الكاكائية أن يجتمعوا رجالاً ونساء في ليلة معلومة من السنة في محل خصوص، يطفئون فيها السرج والأضواء، وتسمى عند أهل تلك الأنحاء (ليلة الكفشة) ومن الناس من ينسب هذه الليلة إلى اليزيدية، ومنهم من يعزوها إلى الشبك (كذبة مختلفة) وكانت تعرف هذه الليلة في عصر العباسيين، أو في العصور المتوسطة بـ (ليلة الماشوش) وقد تركوا هذه العادة القبيحة منذ أن فهموا معنى الإسلام وفرائضه فهماً معقولاً. انتهى[54]».

قال صاحب لغة العرب: وتسمى ليلة (الحاشوش) وليلة الماشوش[55] وأقول: إن الأستاذ شكري الفضلي لم يقطع، ولذا تردد في قوله، وإن العامة تنسبها إلى الفرق الأخرى لما ترى من التكتم، وليس ببعيد عنا مثل هذه النقولات بعد أن نرى صاحب كتاب الفرق بين الفرق ينسبها إلى بعض الغلاة[56]، ومؤلفه عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429هـ - 1037 م.

وأقدم نص وقفت عليه في الكاكائية ما قصة صاحب (كتاب النواقض)، قال ما قال بلا تحقيق، بل لمجرد الكره، أو الاتهام من أناس لا يوثق بهم رموهم بما رموا،

---

[54] لغة العرب. ج8. ص372 وج 6. ص264 وج3. ص308.

[55] لغة العرب. ج8. ص368 وص 241.

[56] كتاب الفرق بين الفرق. ص252.

وكتاب النواقض أصله من تأليف معين الدين أشرف المشتهر بميرزا مخدوم الشريقي الحسني الحسيني، كذا جاء في أصل الكتاب في المقدمة.

ويرجع إلى السيد الشريف الجرجاني في نسبه، وهو شيرزاي حنفي توفي سنة 995هـ، أو سنة 988هـ، على ما جاء في كشف الظنون، ج1، ص527 ووج2، ص617 وأول الكتاب: " نحمدك اللهم لا إله إلا أنت... إلخ". انتهى.

والنسخة الموجودة عندي كتبت في سلخ رجب سنة 1142هـ، ومنه نسخة في المشهد الرضوي كتبت سنة 1012هـ، (ج 4، ص265)، وقد أوضح هناك عن أبيه وجده أنهما كانا وزراء الشاه إسماعيل الأول وأن والده وجده وعمه ممن تميزوا في العلوم العقلية وعمه السيد مرتضى، وبعد وفاة الشاه إسماعيل الثاني مضى إلى البلاط التركي، وسنة تأليف هذا الكتاب 988هـ.

وفي أصل الكتاب سنة 987 هـ، وهو تاريخ (النواقض) كان مفتياً وقاضياً في العراق ومدرساً في المدرسة المرجانية ببغداد، ثم صار قاضي مكة أيضاً، وجاء في الكتاب أنه كان قاضياً ومفتياً في ديار بكر، والكتاب في رد الشيعة في مقدمة وثلاثة فصول وكشف مقال وخاتمة وذيل وإكمال، وجاءت الردود عليه في رقم 891 و1003 من خزانة المشهد الرضوي.

وهذا الكتاب لخصه وزاد عليه السيد محمد بن رسول البرزنجي، ثم المدني، أوله: " الحمد لله المنزل الكتاب على سيد الأحباب... إلخ، تم تأليفه في 7 ربيع الأول سنة 1097 هـ، وتوفي في غرة المحرم سنة 1103 هـ، وهذا نص عبارته، قال:

" ومنهم (يريد الغلاة) الكاكائية وهم يستحلون المحارم، وكل يجامع امرأة صاحبه مباحاً له، ولا غيرة لهم، ويبيحون للضيوف نساءهم، ولهم يوم في السنة يجمعون فيه نساءهم ومحارمهم، فيغلقون عليهم الباب ويظلمون عليهم المكان إن كان نهاراً، ويطفئون السرج إن كان ليلاً، ثم يمسك كل أحد من إلى جانبه سواء كانت أمه، أو ابنته، أو أخته، ويجمعون منيهم قليلاً قليلاً، يضعونه في طعامهم للبركة وتسمى هذه الطائفة، (السياه منصورية) أيضاً والسياه بابائية، والصارولية.

ومن اعتقاد هؤلاء أن الله تعالى شأنه حلَّ في علي، ثم في أولاده واحداً بعد واحد، ثم في شيخهم الذي يكون في الوقت. انتهى[57].

هذا ما قاله البرزنجي، والتحامل ظاهر فيه.

ومن الأمور الصعبة الوقوف على عقيدة عرفت بإلحادها أو نالت نقرة من عقائد المسلمين الشائعة ونكبت مرة أو مرات، وإن تستطيع المجاهرة بمعتقدها فهي متكتمة قطعاً حتى في الأمور المعروفة عنها، والمشهورة بين مجاوريها، وأقدم من عرفنا له ذكراً للفرق الغالية الحاضرة (صاحب النواقض) جاء في معرض الرد.

والملحوظ أن صاحب هذا: الكتاب من أنحائهم، بل إن رؤساءهم ينتسبون إلى ما انتسب إليه من البرزنجية، ولا يبعد أن يكون ما رماهم به من استحلال المحارم ناشئ من التكتم والاجتماع خفية لئلا يطلع على أمورهم الدينية أحد، وإلا فلا يعقل أن يصدر مثل هذا من أمة مسلمة لها عقل، ولعل نفرتهم من الرسوم الدينية دعا إلى التقول عليهم بمثل هذه القالة، بل أن كل واحد منهم متزوج وله أولاد، وأسراتهم معروفة، فلا تطيل القول في الرد.

وهنا أعطانا أسماء جديدة فهم وهي (السياه منصورية)، و(السياه بابائية) و(الصارولية)، والتسمية الأخيرة معروفة، وهي من قبائلهم، ولا تزال إلى اليوم، وهي كاكائية، وما فيها من عقائد وأحوال توضح ما عند الكاكائية، و(سياه منصور) قرية من قراهم.

وفي ترجمة (جامع الأنوار) للبندنيجي ذكر هذه النحلة.

ومن رأي السيد عيسى صفاء الدين البندنيجي أن لا فرق بين الصارلية والنصيرية، أو أنه لا يرى الفروق بينهما كبيرة قال في ترجمته كتاب (جامع الأنوار لمرتضى آل نظمي) ما نصه:

---

[57] نقلاً من كتاب النواقض المذكور وهو مخطوط عندي نسخة منه.

" ولـيعلم أن فرقـة مـن الملاحـدة الـضالة المـضلة الخارجـة مـن الفـرق الـثلاث والـسبعين؛ لأنهـم ليـسوا مـن أمـة الإجابـة، الـشهيرة في الـسنة العـوام (الـصارلية والنـصيرية)، يقولـون بألوهيـة بهلـول كـما يقولـون بألوهيـة عـلي بـن أبي طالـب (رضي الله عنـه)، ولهـم عقائـد تـشمئز منهـا الطبـاع وتـستنكف عـن استماعها الأسـماع، (منهـا) اعتقـادهم بـأن الإلـه لابـد أن يحـل في صـورة مـن صـور البـشر، ويـدخل في قالـب مـن قوالبه، ففـي كـل عـصر من الأعـصار يخرج مـن بـدن بموتـه أو يفقـده ويدخل في آخـر في زمـن موسـى كـان قـد حـل في موسـى، وأشـنع منه قـول بعـضهم بحلولـه في فرعـون، وفي يزيد بن معاوية.

وفي زمـن عيـسى حـل في عيـسى، وفي زمـن النبـي (صـلى الله عليـه وسـلم) حـل في عـلي وفي زمـن بهلـول حـل في بهلـول، وهكـذا فكـل ولي كـان أكثـر خرقـاً، أو كـل ملـك كـان أكـبر شـوكة وسـطوة للعـادة فهـو الإلـه عنـدهم — تعـالى الله عـما يقـول الظـالمون — و(منهـا) اعتقـادهم أن الـشيطان هـو جبرائيـل، وهـو وبقيـة الملائكـة المقـربين لهـم الحلـول في الأبـدان في كـل عـصر مـن الأعـصار، دائـرين مـع الإلـه يـصون البـشر، ولكـل واحـد منهم يسمى به في كل عصر.

و(منهـا) اعتقـاد بعـضهم أن نبينـا، بـل كـل نبـي مـن الأنبيـاء (عليـه الـسلام) إنـما هـو واحـد مـن أولئـك المقـربين، وقـد حـل في صـورة البـشر، وأمـا بعـضهم الآخـر فينـسبون الأنبيـاء — وأسـتغفر الله — إلى الإضـلال والإغـواء، ويقولـون: إنهـم أتـوا مـن عنـد أنفـسهم بـما يخـالف الحقيقـة يعيِّنـون حجـتهم الباطلـة، وطـريقتهم العاطلـة، و(منهـا) اعتقادهم بالقرآن أنه نظم ألفه النبي للحفظ. انتهى .

---

[58] جامع الأنوار، ص479 وهو المنقول إلى العربية، نقله إلى الأستاذ عيسى صفاء الدين البندنيجي المتوفى في 17 رجب سنة 1283 هـ- 1866 م. وعندي نسختان منه إحداهما قديمة، كما نقله السيد أحمد ابن السيد حامد الفخري الموصلي، وعندي نسخة قديمة منه، وأصل (جامع الأنوار) باللغة التركية عندي نسخة مخطوطة قديمة منه.

وهؤلاء جميعاً يقال لهم (الباباوات)، والصحيح الرؤساء منهم فأطلق على الكل، ولا يعرف الفرق بينهما، وقد ذكرت أنهم (البابائية)، وهم يميلون إلى الغلاة فلا يبعد أن يتصلوا بالنصيرية، اتصال مبدأ، وأكثرهم في المواطن التي تقدم الكلام عليها، وأيد المؤرخون أن أهل هذه النِّحلة من النصيرية أو من على شاكلتهم من الغلاة، جاءت إلى الأناضول من سورية، ولا شك أنها دخلت هذه الطريقة فبدلت معتقدها.

والمرجح أنها اليوم لا تختلف عن النصيرية في عقائدها، بل إن السياحين لم يفرقوا بين الكاكائية والقزلباشية وأمثالها، وإنما يطلقون على الكل (على اللهية)، ويعرفون مثلهم بالحلول والموحدة كما ذكرهم المثنى البغدادي في رحلته.

والمسموع عن المجاورين للصارلية في أنحاء طاووق وقرب طوزخورمتو أنهم يحكون عن عبد الرحمن بن ملجم حينما قتل علياً (رضي الله عنه) أنه قال له: أين أهرب؟ فأجابه التف بالحصير تنج (صارل) والقائلون بهذا يقال لهم (صارلية) أي (أهل اللغة)، ومن هنا تبلد انتسابهم إلى عبد الرحمن بن ملجم ومن لا يعدون (كاكائية)، ولهؤلاء مراسم عزاء في عشرة عاشور، ويصبغون أثوابهم في المحرم، فهم شيعة في الظاهر، ومتسترون بها.

وهناك من يقول: أصل صارلية (صارت إلى الجنة) فخففت شاعت بهذه الصورة، ولكن هذه الأقوال لا تدخل في البحث العلمي ولا تقوى عليه من جراء أن (صاره لو) قبيلة من التركمان ولم تكن نحلة ولا طريقة، وذكرتها في (تاريخ العراق بين احتلالين) وأن الجامع للقبائل من أرباب هذه النِّحلة (الكاكائية).

وعلى كل حال كان رميهم بما عزاه إليهم الشيخ رضا الطالباني في قصيدته الكردية مبناه النصوص المنقولة والشيوع جاء من هناك، والكتاب المنقول منه (النواقض) معروف منتشر في تلك الأنحاء وفي مواطن كثيرة، كما أن جامع الأنوار معروف، والملحوظ أنه لم يشاهد أحد اجتماعاتهم، ولم يعرف عنهم ذلك إلا عن الأفواه، وتقطع في أن نساؤهم صاحبات عفاف، وأن المرأة التي يظهر عليها شيء من ريبة تقتل في الحال، ولم تشتهر امرأة من نسائهم بسوء حالة، فلا نراهم في العراق أهل إباحة، وفي أنحائنا لا يسوغون الزواج بأكثر من واحدة مما ينافي الإباحة.

الكاكائية - البكتاشية

لا نفرق بين البكتاشية والكاكائية في أمر، ولكن الكاكائية ينكرون أن يكونوا منهم إلا أنهم يحبونهم ويحنقون على من يعتدي عليهم أو يسبهم، وينقلون أن شيخ البكتاشية كانت له صحبة مع شيخهم، وهؤلاء لا يختلفون عن الحروفية، وقد أوضحت عنهم في (تاريخ العراق بين احتلالين)[59]، وكتب الكل واحدة، وذكرت في كتاب المعاهد الخيرية مباحث موسعة في البكتاشية وتكاياهم، وكذا في (تاريخ العراق للعهد العثماني).

وإن السيد سليمان من ساداتهم يعد أعرف الناس بالبكتاشية، وأحوالهم، وكتبهم اليوم منتشرة وعندي جملة وافرة منها.

---

[59] تاريخ العراق بين احتلالين. ج2. ص246 وص 45. وج 3. ص45. و126 .

الطريقة السهروردية - الكاكائية

تكلمنا على الطريقة السهروردية في تاريخ العراق بين احتلالين، وفي (كتاب المعاهد الخيرية)، وعندنا العبدروسية مشتقة منها، كما أن (النعمة اللهية) منها ونسبت إلى نعمة المتوفى سنة 834هـ- 1430م وكذا الطريقة المسماة (البير جمالية) متفرعة منها ومنتشرة في إيران، ولا تزال آثارها هناك.

تقلبت هذه الطريقة أطواراً، ونالها التحول وأصلها الفتوة فنسبت إلى الشيخ السهروردي وشيوخ الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي معروفون، والآخذون عنه في إيران وفي العراق:

1- من أهل الطبقة الأولى:

(1) الشيخ شمس الدين صفي.

(2) الشيخ عماد الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي.

(3) الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي المتوفى سنة 678هـ، (غالب الآخذين عنه) من أهل إيران.

2- ومن أهل الطبقة الثانية الآخذين عن هذا الأخير:

(1) ابنه شيخ ظهير الدين عبد الرحمن المتوفى سنة 716هـ.

(2) سعد الدين محمد بنت أحمد الفرغاني المتوفى في حدود سنة 700هـ، وله: (شرح تائية ابن القارض ونصوص الكم).

(3) إمام الدين محمد، تتصل به سلسلة (بير جمالية) من مشتقات السهروردية.

(4) الشيخ نور الدين عبد الصمد الأصفهاني النطنزى المتوفى سنة 699هـ (وغالب الآخذين عنه كانوا إيرانيين).

3- ثم جاء رجال الطبقة الثالثة، فأخذوا عن الأخير:

(1) نجم الدين محمود الأصفهاني.

(2) كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني المتوفى في 3 المحرم سنة 736 هـ، وهذا انتشر على يده الغلوّ في العقائد، ومن مؤلفاته شرح الفصوص، ومصطلحات الصوفية، وشرح منازل السائرين.

(3) عز الدين محمود بن علي الكاشاني المتوفى سنة 735هـ.

ومن مؤلفات عز الدين محمود:

1- مصباح الهداية في إيران سنة 1323 هـ، ش، بمطبعة المجلس بتصحيح الأستاذ جلال الدين همائي من أساتذة الجامعة، وقدم له مقدمة وعلق عليه بتعليقات مهمة ونافعة جداً.

2- شرح القصيدة التائية لابن الفارض وسماه (كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر)، وطبع هذا الشرح في طهران سنة 1319 هـ، إلا أنه نسب إلى عبد الرزاق الكاشاني غلطاً للانتباه بالنسبة.

ومن الكتب المتأثرة بمصباح الهداية:

1- طريقتنامه: منظومة لعماد الدين علي الكرماني المتخلص بـ (عماد) المعروف بالعماد الفقيه، وتوفي سنة 773هـ.

والتصوف في القرن السابع وما بعده تأثر في الأغلب بالسهروردية، فنالت هذه الطريقة انتشاراً إلا أنها في حالتها الأولى لم تخرج عن تصوف أهل الغلوّ على يد محيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638هـ، وعلى يد المتصوفة الآخرين مثل ابن الفارض المتوفى سنة 632هـ، وجلال الدين الرومي المولوي المتوفى سنة 672هـ، وعلى يد تلميذه صدر الدين القونوي المتوفى سنة 673 هـ.

تمتاز السهروردية بأنها زهد في تقوى وعمل بر، واتباع طريقته التي كان عليها الشيخ شهاب الدين، بل إن الطرق تمكنت في العراق في هذا النوع أعني (السهروردية) وهذه عملية شاعت في المئة السابعة والثامنة وما بعدهما كما شاعت طرق الفلسفة، وظهرت في محيي الدين بن عربي وما يتصل بها من عشق ووجد وفي ابن الفارض، وجلال الدين الرومي من أرباب الفلسفة الغالية.

والطريقة السهروردية عملية كما أن تلك (عقيدة فلسفية)، ولكن التأثير على السهروردية كان كبيراً من تلك الطرائق الأخرى، ففي إيران أخذ عن السهروردي نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي المتوفى سنة 678هـ، وعن هذا أخذ نور الدين عبد الصمد الأصفهاني، وبعد هؤلاء أخذ عز الدين محمود بن علي الكاشاني فكتب بالفارسية مصباح الهداية، وكثيرون تأثروا بعوارف المعارف وبمؤلفات الشيخ السهروردي، فظهرت (طريقتنامه).

ونقل عوارف المعارف إلى الفارسية من ظهير الدين عبد الرحمن الشيرازي المتوفى سنة 716هـ، ومصباح الهداية لعز الدين محمود الكاشاني، ونظمه لعماد الفقيه المتوفى سنة 773هـ، وهو عماد الدين علي الكرماني المتخلص بـ (عماد) أو (العماد الفقيه) في كتابه (طريقتنامه).

وفي بغداد شاعت الطريقة السهروردية كثيراً، بل في أنحاء العراق، وفي كردستان أكثر، وهي طريقة تصوفية عملية كما انتشرت في إيران إلا أن المؤلفات الأخيرة دخلتها عقائد الغلاة في العراق وفي إيران معاً، بدت في أواخر المئة السابعة وفي المئة الثامنة على يد كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني ومن تلاه، فدخلت في السهروردية عقائد محيي الدين، والحلاج وسائر الغلاة وكانت مؤلفاتهم منتشرة بالخفاء تارة، وعلناً أخرى.

والكاكائية بلا ريب تأثروا بهؤلاء، ونهجوا نهجهم والملحوظ أن الكتب الفارسية أثرت عليهم أكثر من غيرها فتباعدت عن طريقة السهروردي ودخلت في حضيرة الغلاة، والطبقة الثالثة من رجال السهروردية في إيران انقلبت إلى غلو.

ثم ظهرت (كتب الغلاة) بكثرة، بل انتشرت شروح الفصوص وكتب كما الدين عبد الرزاق الكاشاني فدخلت هذه الطريقة، فخرجت بها معن تلك الوجهة التي كانت متأثرة بالرسالة القشيرية وبإحياء العلوم، وبقوت القلوب، وأمثال هذه، فظهر بابا ركن الدين مسعود بن عبد الله البيضاوي المتوفى بأصفهان سنة 769هـ،

وكان مما ألفه شرح الفصوص، وشرح الصحيفة السجادية وترجمة تاريخ الطبري وتفسيره.

ومن جهة أخرى شاعت ترجمة (عوارف المعارف) لظهير الدين عبد الرحمن ابن علي الشيرازي، و(مصباح الهداية) ترجمته أيضاً بتصرف لعز الدين محمود الكاشاني، ويصح أن تعد هذه المؤلفات مبدأ دخول الغلوّ في الطريقة السهروردية، فليس من المستبعد أن يدخل الكاكائية الغلوّ، فصاروا لا يعدون في الظاهر أصحاب طريقة، بل من رجال العقيدة (العلى اللهية) ولكن آثار هذه الطريقة واضحة.

هذا والنعمة اللهية، والبير جمالية لم تحتقنا بأصل السهروردية كما أن العيدروسية لم تنتشر كثيراً ولا استقرت في العراق خاصة، وإنما دخلها الغلوّ، فعادت لا تختلف عن الكاكائية إلا أننا توجه اللوم على الكاكائية على الكاكائية مع أننا ترى رجال هذه الطريقة خرجوا بما يزيد على ما عند الكاكائية، ومن الضروري أن لا تستغرب منهم فعقائدهم عين عقائد الغلاة من أصحاب هذه الطريقة في إيران والعراق، وموضوعنا خاص برجال هذه الطريقة، والتحول في عقائدهم وميلهم إلى نحل الغلاة في التصوف يرجع إلى هذا العهد، ويعد القرن الثامن مبدأ هذا التحول، بل التأثير نشأ قبله بقليل.

القزلباشية والكاكائية

طرق المتصوفة في العراق لا تحصى عداً، ويهمنا ما يقارب الكاكائية، أو كان يعد من نوعها، وكل واحدة تستحق العناية والاهتمام، وتحتاج إلى بحث وتحقيق كبيرين إلا أننا لم يكن من موضوعنا الآن الاتصال بهذه الطرق أو النحل من كل الوجوه، وإنما نريد أن نعين العلاقات بها وبيان مكانتها التاريخية، ووجوه انتشارها وتطورها دون توغل في أمر الرد، أو التنديد، فإنه ليس من شأننا، بل أن العراق في حاجة إلى أن يكشف عن نحل القطر وعقائده.

واليوم لا مجال للتعرض بأهل العقائد والتنديد بها، أو الوقيعة، فلكل حرية اعتقاده على أن لا يفسر بالآخرين، ولا تنتهك حرمة أدبائهم أو عقائدهم بأهل العقائد والتنديد بها، أو الوقيعة، فلكل حرية اعتقاده على أن لا يضر بالآخرين، ولا تنتهك حرمة أدبائهم أو عقائدهم بأن يتعرض لهم بسوء أو يدعو إلى أمور لا تليق، والعقيدة الحقة بلا ريب تظهر على الكل، وتدعو للاهتمام وإلا كان المرء متابعاً في عقيدته متابعة عمياء، جاهلاً بما عند الآخرين، محروماً من المقابلات وسرقة الفروق وبالتعبير الأولى لا يود أن يستخدم عقله كآلة تفكير للاسترشاد وأن يقبل ما هو الصالح.

وكنت أوضحت أنني ليس في وسعي التخلص للنحل والفرق بمجموعها، أو بيانها كلها والعراق موطن الكثير منها، فلا تكاد تخلو عقيدة من أثر متصل في العراق ولا طريقة إلا ولها أصل أصيل فيه.

وهذه الطريقة أعني (القزلباشية) من (طرق الفتوة) لا تختلف عن الكاكائية، بل الواحدة توضح الأخرى، شاعت كثيراً وانتشرت وعرفت (بالطريقة الصفوية)، وكنت قلت في تاريخ العراق بين احتلالين ما نصح:

" الطريقة الصفوية: كانت من الطرق المعروفة، ولها منزلة مهمة في قلوب اتباعها، انتشرت انتشاراً هائلاً بين قبائل التركمان، والبلاد التي يقطنونها مثل أذربيجان وبلاد كثيرة، ورأس هذه الطريقة ومؤسسها الذي عرفت به هو الشيخ صفي الدين أبو إسحق، أحد أجداد الشاه إسماعيل، وممن شيوخ طريقته الشيخ تاج الدين إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة 700هـ، في سيارود من كيلان.

وتتصل طريقته بالغزالي وتنتهي في سلسلة شيوخ هذه الطريقة بالإمام علي (رضي الله عنه)، وكان الشيخ صفي في زمانه قد ولي الإرشاد ونال الموقع اللائق في قلوب المريدين، وعرف بذلك أيام المغول ولهم الاعتقاد التام به، وكثير من أقوامهم ارتدعوا عن إيذاء الخلق، والتجاوز على الناس بسببه كما جاء ذلك في تاريخ كزيده[60]، وكتب كثيرون في مناقبه، وبيان طريقته ومجاهداته.

ومن أهم هذه الكتب وأوسعها كتاب (صفوة الصفاء)[61]، وهذا الكتاب سمعت أنه طبع في الهند، ورأيت كتاباً يسمى (المناقب الصفوية) باللغة الإيرانية في التصوف، فكان عين (صفوة الصفاء)، وهو في مناقب صفي الدين في مجلد ضخم جداً! يطنب في أوصافه وكراماته، وسائر أحواله من ابتدائها إلى انتهاء أيامه، وهو يساعد كثيراً لمعرفة طريقته.

والكتاب في مكتبة أيا صوفيا رقم 3099 وأعتقد أن هذا الكتاب فيه كفاية وغنى عن غيره لمعرفة هذه الطريقة، ومع هذا لا تزال معروفة، وفيها مدونات ورسائل تعين هذه الطريقة، وتسمى طريقة (شاه صافي)، ومن كتبها التي رأيتها مخطوطة (هداية) و(مرشد) و(بويرق) و(وحسنية) مكتوبة باللغة التركية الأذرية

---

[60] توفي سنة 735هـ.

[61] لب التواريخ، ص236 وكلشن خلفاء.

"مما تيسرت معرفته، وكلها لا تخرج عن مختصرات في التعريف بهذه الطريقة أو بيان مناقب الأئمة ولكنها لا تخلو من غلو.

توفي رأس هذه الطريقة الشيخ صفي الدين في 12 المحرم سنة 735هـ، في أردبيل ودفن بدار الإرشاد التي قام بتأسيسها ابنه الشيخ صدر الدين موسى، وأن الشاه إسماعيل هو ابن حيدر بن جنيد بن إبراهيم ابن الشيخ علي ابن الشيخ صدر الدين موسى المذكور.

والملحوظ هنا أن أصحاب هذه الطريقة متسبين إليها تفادوا في سبيل نصرة مرشديهم وأولادهم حتى نالهم ما نالهم في حبهم، لحد أن قسماً كبيراً منهم نجاوز في الحب، وغلا في الاتباع، ولا أمضي دون أن أذكر بعض النصوص لتعرف درجة ما ساقت الحزبية إليه، وما أدت المفاداة بسببها، فصار ينعت صنف من الناس من أصحاب هذه الطريقة (بالقزلباشة) "[63].

ويقولون بمراعاة هذه الطريقة بحيث صاروا اليوم لا يعلمون من العقائد والدين سوى ظواهر الطريقة، ودخلهم الغلوّ، وتجاوزوا حدود الشريعة أهملوها، وظنوا النجاح في الدار الآخرة في أتباع مراسم هذه الطريقة وأنه كاف وواف بالغرض، بل صار يقطع في أنه الموصل إلى النجاة.

خلفه في الإرشاد ابنه صدر الدين موسى وهكذا توالوا في طريق الإرشاد إلا أن هؤلاء قد دخلتهم أفكار جديدة أيام الشيخ جنيد، فقد كان هذا يحمل فكرة السلطنة والتسلط استفادة من نفوذه الديني ومكانته في المشيخة من مريديه وأتباعه، ولما شعر جهان شاه بذلك طرده وأباعه من مملكته، فذهبوا إلى حلب، ثم إلى ديار بكر وهنا نالوا احتراماً من حسن الطويل، فأكرمهم وأعزهم، وتصاهر معهم. فنالوا مكاناً

---

[62] من هذه المخطوطات حسنية كتبت بالعربية وترجمت إلى الفارسية والتركية وعندي نسختها المخطوطة.

[63] جاء ذكر القزلباشية في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطب المكي.

أكبر، وذلك للخلاف بين جهانشاه والسلطان حسن الطويل، فأراد أن يستفيد من مريديه[64].

وكان الشيخ جنيد أيام وجوده في أنحاء حلب - على ما جاء في كنوز الذهب[65]- يرمي بأنه شعشاعي المذهب (مشعشع) وأنه تهوك للجماعة، ونسبت إليه أشياء أخرى، وقد سكن كلز (كلس) وبنى فيها مسجداً وحماماً، وللناس فيه اعتقاد عظيم بسبب أبيه وجده، ويأتمرون بأمره ولا يغفلون عن خدمته، ويثابرون على لزوم بابه، ويأتيه الناس من الروم والعجم وسائر البلاد، ويأتيه الفتوح الكثير، ثم سكن جبل موسى عند أنطاكية هو وجماعته وبنى به مساكن من خشب، وفي الجملة كان على طريق الملوك لا على طريق القوم.

وإن ما نسب إليه دعا أن خرج إليه الناس إلى الجبل، فاقتتلوا، وأسفرت الوقعة عن قتلى من الفريقين، فانسحب من الجبل إلى جهة بلاد العجم وأقام هناك، ثم خرج على بعض ملوكها فقتل، وقتل الناس وحملهم على الرفض وترك الجماعات ونكاح المحارم ويعرف بالشعشاع[66].

وقد مر ذكر الشيخ جنيد وأخلافه، ومن هنا علمنا أن فكرة السلطنة تولدت من هذا التاريخ ومن النصوص التالية ما يوضح أن الغلوّ حصل من الاتباع، وكان الشاه إسماعيل لم يرض به، وفي (تاريخ عاشق باشا زاده)[67] كلا لبعض رجاله مما يدل على الغلوّ فيه. انتهى. ج3، ص232.

---

[64] لب التاريخ، ص238.

[65] كنوز الذهب في تاريخ حلب، منه نسخة في خزانة أحمد تيمور باشا وجزء في مكتبة كامل الغزي، وهو ذيل در الحبب تأليف الشيخ الإمام المحدث موفق الدين أبي ذر أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي. وتوفي سنة 884هـ بحلب ويعد من مناصري الشيخ جنيد (راجع أعلام النبلاء) وكشف الظنون، ج2، ص377 طبعة إستانبول الجديدة.

[66] إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج3، ص56. والتفصيل هناك نقلاً عن كنوز الذهب. راجع وصفه في ج1. ص26 وج3. ص9 وفيه بحث مهم عن نسيمي راجع ج3. ص15.

[67] تاريخ عاشق باشا زاده، ص266 وما يليها.

وكـل مـا نقولـه هنـا: إن هـذه الطريقـة تـصوفية في أصـلها، مـن طـرق الفتـوة، والـسياسة مـصروفة إلى أن الـشاه إسـماعيل حـارب المشعـشعين، ولكنـه عـاد فقـبلهم لمجـرد الطاعـة والإذعـان وإلا فـإن الـشاه كـان مـن الغـلاة، وإن مراجعـة ديوانـه تظهـر أنـه بلـغ مـن الغلـوّ مـا يـصح أو يـدعى بـ (عـلى اللهـي)، وهـذه تعـد الأئمـة الاثنـي عـشر رجـال طريقهـا، أولهـم الإمـام عـلي (رضي الله عنـه)، ويـسمون بــ (القزلباشـية)، منتـشرون في العـراق وغـيره دخلهـم الغلـوّ قبـل الـشاه إسـماعيل، ولا سـبب إلا دخـول غـلاة التـصوف بـين صـفوفهم، ودخـول المبالغـة في إشـعار المـدح لـلآل، ثـم انتـشار شـعر الغـلاة، فـتمكن الغلوّ فيهم"[68].

والملحـوظ أن الـشاه إسـماعيل الـصفوي دخـل بغـداد في 25 جمـادى الثانيـة سـنة 914هــ- 1509م ومـن ثـم تمكنـت هـذه الطريقـة في العـراق بـشكلها الغـالي، وبقـي أثرهـا إلى مـا بعـد الفـتح الـثماني، ولا تـزال إلى اليـوم، ويعـد الـشاه إسـماعيل مـن شـيوخها، ولـه ديـوان لقـب نفـسه فيـه بـ (خطـائي) مملـوء غلـواً رأتيـه في إسـتانبول، وفيـه قـصيدة، بـل قـصائد في الغلـوّ لا يقـول بهـا إلا مـن اعتقـد أن عليـاً (رضي الله عنـه) إلـه، وفي آخـره قصيدة جعلها مختومة بهذه الأبيات:

أي خطـائي غافـل أولـه، أشـبو دنيـا هرتـه كلـديكم وجـوده عالمـات مهمايـدر

بـــر كلامـــى ورد ايـــدنمك عارفـــك قبلـه كاهمـدر محمـد، يجـده كاهمـدر عـلي

فـتراه في الـدنيا يقـول: إنهـا دار فنـاء ويعـد فيهـا مـن أركـان العـارف أن يتخـذ محمـداً قبلتـه، وعليـاً سـجدته، وكـل أبياتـه غاليـة، وديوانـه مـن إلهـام الحـلاج ونـسيمي، يـصرح بهـما في شـعره ويـردد اسـميهما، وهـو ملهـم آراء أهـل الوحـدة والاتحـاد، متبـع بهـا، ولـيس فيـه إلا الغلـوّ، تجـاوز الحـدود المرسـومة في الحـب للأشـخاص ممـا لا يـأتلف والعقيـدة الحقـة، نظـم باللغـة التركيـة، ولا يقـل عـن شـعر نـسيمي في بلاغتـه، وفي شـعر هـذا يلهـج بالأئمة الاثني عشر وينعتهم بما لا يصلح بشر.

---

[68] تاريخ العراق بين احتلالين ج3، ص235 بتصرف قليل.

وأرباب هذه الطريقة يقال لهم (الصوفية) (والشيوخ).

والظاهر أنها استمرت عندنا على ما كانت عليه في أيام الدولة الصفوية، وبدخولها العراق لم ينلها تحول أو تبدل، وأصلها (السهروردية) لا تختلف عنها بوجه الكاكائية، إلا أن هؤلاء سموا بـ (القزلباشية)، من جهة أن هؤلاء كانوا يلبسون قلانس حمراً.

ولا تختلف عن الكاكائية إلا برؤسائها، تمت إلى طريقة الشيخ صفي الدين الأردبيلي، ويسمونه (الشيخ صافي)، وترجع بسندها إلى الإمام علي (رضي الله عنه)، قبلوا ما كان قبله الكاكائية من نحلة وعقائد، ومختارات شعرية دون تفريق، وصار يعد بعض شيوخ الطريقة فوق البشرية، فعدوا الحب عبادة، وتجاوزوا فيه إلى الحدود والاتحاد.

وبعض الأفاضل الإيرانيين أراد أن يذكر الغلوّ بنقد لاذع في التسليم لبعض الأشخاص، وتوكيل الأمر إليهم فعد الغلاة أحراراً من التقيد بأي عقيدة أو دين، أو مراسيم عبادة وهكذا، فعادوا خالين من كل تبعة دينية.

ثم إن آخرين من الأفاضل أوضحوا لي أن هؤلاء لا يعتقدون بتوالي الحلول لكل أحد، وإنما يعتقدون بأن علياً هو (الله) شخصياً، وإن الحلول في غيره من أولاده وذريته أو غيرهم غير معلوم، ولا سند يدعمه، بل المعروف المنقول أنهم حلولية، يقولون بألوهية كل من ناله الظهور، أو استحق أن يكون محلاً له بالوجه المذكور في الكاكائية بلا تفاوت أو فرق، ولا تعرف اليوم طائفة أو نحلة تقول بألوهية الإمام علي (رضي الله عنه) وحده.

وهذه الطريقة كانت في أيام الصفويين، بل قبيل ظهورهم كدولة بقليل على أصل الغلوّ ونسوا ما قبله، فأدى بهم الأمر إلى أن يميلوا إلى الشعر الغالي، وفي العراق من مدة تركوا الدعوة إلى من يليهم، واكتفوا بما علموا، وإن الحوادث دعتهم إلى التزام التكتم، وبالتعبير الأولى أغفلوا المعرفة، فوقفت الطريقة، وصارت لا تبوح

بـما عنـدها وسـاقتهم إلى الاعتقـاد بالـشيوخ القـدماء وأنهـم محـل الظهـور، وجعلـوا الطاعة لهم وحبهم ديناً، وكذا الحاضرون يتصلون بهم، ولا يعرفون غير ذلك.

رفعـوا عـنهم التكـاليف، واسـتغنوا برجـالهم، وأبـاحوا الخمـور، سـاروا سـيرة الجهالـة المطبقـة، أو أن لا يفكـروا بـدين، ولا واجـب، تركـوا أمـر تحمـل المشاق وعلـوا العهـدة عـلى غـيرهم مـن رجـال الحلـول، معتقـدون الألوهيـة في كثـيرين، وأنهـا تتنـاوب بين حـين وآخر، ولكـل واحـد عهـد، وكـان في زمـن مـا (الإمـام عـلي رض) ولكـن ذلـك شـاع فقيـل لهـم (عـلى اللهيـة)، وهكـذا فعـل (النـصيرية)، فلـم يقفـوا عنـد الإمـام واعتقـاد الألوهية به وحده فإنه كان مظهراً في وقت، والآن تعاقب آخرون وتبادلوها.

وصـح أن نقـول: إن الكاكائيـة سـموا أنفـسهم (أهـل الحـق)، وكـذا هـؤلاء لا يختلفـون عـنهم بوجـه إلا أن الرؤسـاء يختلفـون عـن أولئـك أو شـيوخ الطريقـة غـير شيوخهم.

وكـل مـا نقـول في هـؤلاء أنهـم لم ينظـروا إلى تجـدد الآراء اليـوم، وإن الحلـول أو الوحـدة والاتحـاد لا يقـول بهـا فيلـسوف، وإن (الأفلاطونيـة الحديثـة) قُـضي عليهـا كـما قُضي على فلسفة أرسطو، ولم تدرس الآن إلا لمعرفة أمر تطور الآراء البشرية.

ويهمنا أن نعيّن كتبهم لنكون على بينة من الأمر.

1- كتاب المواهب السنية في المناقب الصفوية:

كنـت وصـفته في تـاريخ العـراق مـن نـسخة رأيتهـا في خزانـة أيـا صـوفيا ونـسخة أخـرى مخطوطـة أيـضاً رأيتهـا في بغـداد سـنة 1948م، إلا أنتـي رأيـت نـسخة أيـا صـوفيا مـن زمـان بعيـد، ونـشرت عنهـا في تـاريخ العـراق في المجلـد الثالـث، وسـمعت أنهـا طبعت في الهند، ولم أر النسخة المطبوعة.

ولعـل طبعهـا في الهنـد يـدل إلى أن الحريـة هنـاك كانـت أوسـع في بـث العقيـدة، أو بـث مؤلفاتهـا فـيما بيـنهم، فكـان النـشر في الهنـد خـير تربـة صـالحة، وتتيـسر لتثبيـت مؤلفـاتهم كـما أن العـلى اللهيـة خاصـة نـشروا (دبـستان مـذاهب) لهـذه الغايـة مـن المعرفـة، وهكـذا كان النشر بهذه الوسيلة لبث العقائد بين أهليها، لكنها حرمت الدعوة.

ويسمى هذا الكتاب بالمناقب الصفوية أو (صفوة الصفا) ذكره خواندمير في كتابه حبيب السير، وكذا صاحب كشف الظنون، قال: ويسمى صفوة الصفوة.

ينبئ أوله عن موضوعه، قال:

" الحمد لله الذي تجلى لأوليائه... إلخ".

إلا أن نسخة بغداد ناقصة الآخر، وهي من تأليف توكلي بن إسماعيل بن حاجي الأردبيلي المشتهر (بابن البزاز)، وموضوعها: مناقب صفي الدين الأردبيلي، وبيان نسبه وطريقته وكراماته، وسائر أحواله حتى وفاته، ويعد هذا الكتاب من (كتب القزلباشية) أو المقبول منها عندهم، ويعيِّن طريقة صفي الدين وسلوكه التصوفي، ولا شك أن المؤلفات أمثال هذا تكشف عن حقيقة طريقتهم المسلوكة، ويعرف بمبدأ تاريخ دخول الغلوّ وكيف وصل إليهم، بل أوضحت في تاريخ العراق ذلك، وهذا الكتاب أول ما فيه أنه يحمد الله الذي تجلى لأوليائه، والتجلي هل هو ناجم إلا من طريق الحلول والاتحاد؟؟

و يهمنا تاريخ تأليف المواهب السنية، والتعرف لمؤلفها، ودرجة علاقته بالشيخ صفي الدين إسحق الأردبيلي، وهو معروف في كتب التراجم وذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين في المجلد الثالث، باسم (المناقب الصفوية).

2- بويروق:

وهذا أيضاً في المناقب الصفوية، وفي شرح الطريقة الصفوية أيضاً ولا يختلف عن سابقه إلا في أنه أكثر اختصاراً منه، وهو جامع أو صفوة والملحوظ أن بويروق في الأصل أوامر أو ما ينطق به الشيخ أو رئيس الطريقة من شعر مختار وما ماثل، إلا أنه سميت المناقب أو هذا الكتاب بهذا الاسم.

وهذا الكتاب يعيِّن طريقة الشيخ صفي الدين كما تقدم، ويسمى كتاب مناقب الأولياء، ويبين أن شاه صافي(يريد الشيخ صفي الدين) قد ولد في حوران، وأن أباه أمين الدين جبرائيل، وكان عمره ست سنوات فذهب إلى خراسان، وجاور في مرقد الرضا، فبقي ثلاثة أشهر وثلاثة أيام، ثم سار على كيلان إلى الشيخ إبراهيم

الكيلاني، وهناك تلقي الطريقة منه، وكان شيخاً كاملاً، وبعد أن تمت للشيخ صفي الخدمة لمدة أربعين سنة توفي الشيخ الكيلاني، وترك ثلاثة بنين أحدهم حسن، والآخر حسين، والثالث علي، ولكن الشيخ إبراهيم لم يعهد بطريقته لواحد من هؤلاء الأولاد، وإنما عهد بها إلى الشيخ صفي، فصار شيخاً بعده وألبس الكسوة.

والشيخ صفي هذا قد خلفه ابنه صدر الدين، ثم ابنه الشيخ علي، ومنه صارت إلى ابنه الشيخ إبراهيم، وبعده الشيخ جنيد، ثم الشيخ صدر وهؤلاء تولوا المشيخة في ديار كيلان وتعهدوا الإرشاد، أما في بلاد الروم فقد عهدت مشيخة هذه الطريقة إلى (الحاج بيرام)، فتولدت هناك (الطريقة البيرامية) وهذه الطريقة معروفة في الجمهورية التركية إلى ما قبل إلغاء التكايا.

ولا يزال الروم يضمرون الحرمة اللائقة للشيخ صفي، ويعدونه من أكابر شيوخ طريقتهم، وأنه كان يعد السبب في إرشاد الأشرار ذلك ما دعا أن يحترمه (تيمور لنك) في أيامه ويقدم له التعظيم اللائق، وعفا عن أسرى كثيرين من الروم بطلب من الشيخ صفي الدين، فكان هؤلاء الأسرى قد بقي قسم منهم في خدمة الشيخ وآخرون عادوا إلى ديارهم، فكان الشيخ موضع الاحترام والتوقير عندهم، ويعدون أنفسهم عتقاءه، ويعتبرونه أستاذهم ومرشدهم.

وأرباب طريقته بالنظر لتعاليمهم يعدون الشيخ صفي هو (علي) عن ذلك يجب أن لا يشك فيه، ومن هذا يفهم أنهم يعتقدون بالحلول، وأن علياً ظهر في الشيخ صفي، كما أن الله تعالى تجلى في محمد، ثم في علي، ثم في الشيخ صفي الدين، ويزيد في غلوهم في أن من اشتبه في أنه علي فكأنه اشتبه في محمد، ثم في الله، ويقولون: إن بكتاش ولي، وبايرام ولي من أكابر المتصوفة المعترفة بهم عندهم.

ولا يقولون بالمفروضات، فصلاة الصوفي عندهم أن يأتي يوم الجمعة إلى دار (مرشدة) و(دليله) ويقدم لهم نذره، وقبلته أن ينظر إلى وجهيهما.

فينجو من كل جريرة ارتكبها، ويتخلص من كل بلاء، ومن مقرراتهم أن يحب أحدهم الآخر، ومن مطالعة بويرق يفهم أن تعاليمهم بمثابة دينهم، أو هو طريقتهم التصوفية.

ومن تعاليمهم حب علي وأبنائه الأحد عشر، وأنهم حق، وعندهم أخو المعرفة، وأخو الحقيقة يجب أن يعرفوا، وعندهم أخو الشريعة، وبعده أخو الطريقة، ثم أخو المعرفة وبعد ذلك أخو الحقيقة، ثم مقام الأربعين إلى آخر ما هنالك من تعاليم مقررة وهي طريقة شاقة، وعندهم مرجحة على الدين، وإن الإمام علياً لم يبح بها لمحمد، وهؤلاء غلاة في الأئمة، تجاوزوا الحدود إلا أنهم لم يكنوا كالكاكائية، فإن ارتباطهم بالآل كبير، ويلعنون الشيطان، وآمر الطريقة الشيخ صفي الدين.

وعندهم زيارة كربلاء يتم بها الإيمان، وتذهب الأدران والجرائر، وفي هذا الكتاب تعاليم كثيرة، ووصايا كثيرة لا يسع المجال أن نستوعبها، وفي هذه التعاليم لم يبق للشريعة حكم، ويقصدون بالشريعة ما يؤول إلى أمور تصوفية، ولا تختلف عن تصوف الغلاة إلا أن قدوتهم أهل البيت، ظاهرهم التشيع وباطنهم الغلو، في آخر هذا الكتاب يذكر التجلي، ويوضح أن الباري إنما تظهر صفاته في الأشخاص، ويندد بمن لا يعتقد بذلك.

3- حديقة السعداء:

من الكتب المتداولة فيما بين القزلباشية كثيراً، وهذا الكتاب باللغة التركية كتبه فضولي البغدادي الشاعر المعروف المتوفى سنة 963هـ، نقله من الفارسية، وأصله روضة الشهداء لحسين بن علي الكاشفي المعروف بالواعظ اليهقي المتوفى سنة 910هـ- 1504م، على ما جاء في كشف الظنون، كتبه بالفارسية فنقل منه فضولي واقعة كربلاء، وزاد عليه، والكتاب مطبوع متداول، ورأيت من نسخة مخطوطة مصورة في تمثيل تلك الواقعة، وألوانها جميلة، وكانت كتبت ببغداد سنة 998هـ، وعندي نسخة مخطوطة غير مقصودة كتبت سنة 999هـ.

هذا، وقد ترجمت فضولي في كتاب الأدب التركي في العراق بتفصيل فلا مجال هنا للإطناب في ترجمته، وهو أقرب إلى الحروفية والكاكائية أو القزلباشية لعدم إمكان التفريق بين هذه الطوائف وشعره متداول بينها كلها، ونال مكانة في الأدب التركي فهو من أكابر المجددين فيه.

4- مرشد:

من كتبهم المهمة باللغة التركية، ويصرح في أوله بأن من طالع فيه واستفاد منه أن يدعو لي بالخير، وأن لا يبذله لغير أهله، وأن تقديسه لغير أهله ظلم، وبدأه بفصل في الطريقة، وتكلم في الفتوة وسندها، والتكبيرات وأنواعها على ما يأتي من ذكرها، فأوضح فيه طريقة الفتوة، وبهذا تأكد أن الكاكائية لا يختلفون عن القزلباشية بوجه، وعندي هذه النسخة مخطوطة، وهي من كتبهم قطعاً، وأوضح الفتوة والطريقة، والمؤاخاة، وتوسع في الإمام علي (رضي الله عنه) وفي سلمان وذكر جماعة.

وجاء في آخره: فرغ من تسويده مؤلفه العبد المفتقر إلى الله الغني السيد محمد ابن السيد علاء الدين الحسيني الرضوي القاضي الشافعي ببروسة المحرومة في أوائل شهر صفر سنة ألف، كذا قيل، والكتاب لم يخرج عن كتب الفتوة الأخرى فلا نطيل القول بما يحويه.

5- حسنية:

وهذه قصة مناظرة كتبت باللغة العربية، وبالفارسية، وبالتركية، وهذه متداولة معروفة، والنسخة التركية منها جاء في آخرها أنها منقولة من نسخة كتبت سنة 935هـ، وهذه عندي نسخها الثلاث، فلا أطيل القول فيها، وفي هذه الرسالة إثبات الإمامة على طريقة الاثني عشرية إثبات مطالب تتعلق بهذا المذهب.

والحاصل أن كتب هؤلاء متيسر الحصول عليها، وعندي نسخ من هذا الكتب، ولو أوضحت ما في هذه لأمكن تأليف كتاب مستقل، ولعل الأيام تسهل البحث للمعرفة الموسعة، ولا أمل لنا إلا أن نعرف عن الطرق والنحل المتمكنة في العراق،

وقد صرحت مراراً أن لكل أحد عقيدته، والآراء إذا دخلها التمحيص توصل الناس إلى المعرفة الحقة.

وهنا لا أمضي دون أن أذكر نماذج من أشعارهم، ومن أهمها شعر خطائي (الشاه إسماعيل الصفوي).

ومنها قول بعضهم بعنوان: " هو الأعلى ":

جون ذات قدير بي نظير اسست على   بر خلق جهاهمه أميرست على

در عالم لاهوت أميرست ومشاور   در عالم ناسوت خبير است على

حسب الأمر حضرت جناب مستعاب حاجي أديب آقا سلمه الله تعالى سنة 1313.

رأيت هذه الأبيات في لوح خطي جميل لم يذكر خطاطه، وملخص معناها:

إن علي هو الذات القدير الذي ليس كمثله، وهو الأمير على خلق العالم أجمع، وهو أمير عالم اللاهوت والمستشار كما أنه الخبير بعالم الناسوت.

إن هؤلاء كتبهم منتشرة، أو سهلة الحصول، وأما الكاكائية فكتبهم غير معروفة يتكتمون بها في العراق، ولكنها منتشرة في أصل كثرتهم في إيران فلم يجد الباحثون صعوبة في الحصول عليها.

قرى القزلباشية:

1- طاووق.

2- تسعين (تسين).

3- بشير.

4- تازه خرماتو.

5- دوزخرماتو،

وفي قرى أخرى إلا أنهم في قلة كما في خانقين وقزلباط.

هؤلاء الشبك من الطوائف المعروفة بغلوها في العراق، وتسكن في أنحاء الموصل، ومشتهرة كالكاكائية في لواء كركوك، فلا تقل عنها، واختلف عفي أصلها، وتدعى أنها من الأنحاء الجنوبية من إيران، ويغلب على الظن أنها من (شبانكارة) ويقولون بأن لهم أقارب متصلون بهم إلى الآن، ولعل التأويل في التسميات واشتقاقها جاء بعد الوقوع، وبعد نسيان أصل الاشتقاق كما وقع ذلك في الصارلية (صاره لو) ومهما يكن فهي معروفة بهذا الاسم.

وهؤلاء في نحلتهم لا يفرقون عن (القزلباشية) بوجه، ويخطئ من يعدهم من غيرهم، بل إن طريقتهم (طريقة الشيخ صفي) أو كما يقولون (الشيخ صافي)، وكتبهم عين كتبهم، و(بويروق) في مناقب الشيخ صفي من كتبه من المعتبرة المتداولة فيما بينهم، وهو من (كتب القزلباشية)، وقد أوضحنا عن القزلباشية وكل ما قلناه هناك نقوله هنا.

وهؤلاء لا يعرف سبب ورودهم ديار الموصل ولا تاريخهم، ولغتهم مزيج من الفارسية والكردية والعربية وقليل من التركية، وكل هذه نتيجة اتصال سابق أو لاحق، لكنها تختلف عن لهجة أكثر الإيرانيين، وذكر لي الأستاذ الدكتور داود الجلبي الكثير من أحوالهم وقال: يغلب على الظن أن لهجتهم أقرب للبلوشية، فإذا قال الشبكي لأحد: (تعال) قال: (بو) بدل (بيا)، وأقول: هذه اللهجة موجودة عند الجاف وغيرهم عيناً، قال الدكتور: ويسمع منهم كثيراً (جش مكرو) أي ماذا تعمل؟ أو كما يقول الإيرانيون: (جه ميكنى)؟

والشبك شقر غير واضحي الشقرة، قويو الأبدان، طوال القامة نوعاً لا يحلقون لحاهم، ولا يقصون شواربهم، فيرى الشعر قد ستر أفواههم، يسكنون القرى، ولا يوجد منهم من يسكن الموصل، وقراهم في بقعة تقع نحو الشرق من الموصل،

وبساكنهم في بعض القرى (الباجوان)، ولغتهم قريبة منهم لا تختلف عنها إلا قليلاً، ويقال: إن أصل (باجوان) (باجلان) ويراد بها (باج آلان).

ولكن اللغات الكردية عندنا في ألفاظ كثيرة تدعو إلى خلاف هذا التفسير، فقد جاءت ألفاظ كردية على هذا التركيب وهي على نظائر تلك، مثل (بازلان) و(ديمة لان)، و(كردلان) أي أرض التل، و(بيشه لان) محل الغابة و(قاميشه لان) الأرض القصبية، و(تركلان) قرية في كركوك، وكل هذه تعني (لانه) عش، (لان) عرين، (لانك) مهد أو بالتعبير الأولى يراد بها المحل أو المسكن، و(باجلان) أصله (بازلان)، ومان وبان صاحب مثل قهرمان وما شابه، فالتعابير متقاربة، ويراد بها ألفاظ كردية لا علاقة لها بالترك ولا بسهادة (باج آلان) كما هو من رأي بعض الأفاضل، وتكلمت على قبائل باجلان في (عشائر العراق الكردية)"[69].

وهنا أوردنا ما وصل إلينا خبره من آراء في الباجوان والباجلان معاً إلا أننا لا نزال نعتقد أنهم في الأصل ترك ودخلتهم اللغة الكردية ممزوجة بالفارسية والعربية بعامل الاختلاط، وقد علمت من عبد الله بك باجلان وهو أخو مصطفى باشا باجلان أن أصلهم ترك، ولا عبرة للتسمية، ولعل هؤلاء سموا باسم المكان فصار علماً للقبيلة التي حلته، وهذا شائع كثيراً.

وهؤلاء يساكنهم غيرهم من عرب وكرد.

وهذه أسماء قرى الشك الذين لا يخالطهم أو يشاركهم فيها غيرهم:

1- علي رش.

2- مناره شبك.

3- كبرلي.

4- دراويش.

5- طهراه شبك.

---

[69] عشائر العراق ج2 العشائر الكردية، ص183 وهناك ذكر قراهم في أنحاء خانقين.

6- باشبيشه، باشبيئة.

7- تيز خراب كبير.

8- خزنه تبه.

9- قره تبه شبك.

10- قره تبه عرب.

11- ينكيجه.

12- تبز خراب صغير.

13- خرابه سلطانه.

14- بدنه كبير.

15- باصخره.

16- الشيخ أمير.

17- بعويزه.

ومن القرى التي أغلب سكانها شبك:

1- طوبزاوه شبك: ثلثها شبك، والثلث الآخر باجوان، عدد بيوتها 80 بيتاً.

2- بازوايه: نحو نصفها شبك، والباقون من عرب الجحيش ومن الكرد، هي نحو 60 بيتاً.

3- أبو جربوعة: أغلبها شبك، ومعهم من الداودة وهم سنة، وبيت هذه القرية 110.

4- بئر حلان: بينهم قليل من عرب الراشد.

5- جيلو خان: وتلفظ (أجلوا خان)، نصفهم شبك والباقي باجوان وهم 40 بيتاً.

6- أورنه خراب: نحو 150 بيتاً منهم 50 بيتاً من الباجوان.

7- عمر كان: فيهم قليل من الباجوان وتركمان شيعة، ويبلغون 80 بيتاً.

8- اللك: فيها باجوان وسنة وتبلغ 30 بيتاً.

9- تلباره: فيها سنة كثيرون من الشبك وهم 80 بيتاً.

10- طوبراق زيارة: كسابقتها.

11- بازكردان: أكثرها شبك والباقون باجوان.

12- كهريز.

13- بلوات.

14- تل عامود.

15- ترجلة.

16- قره شور.

17- جديدة.

18- بسطلي.

أكثر هذه القرى من الشبك، والباقي مختلط.

ومن القرى ما يقل فيها الشبك:

1- كوكجلي: فيها 200 بيت من الباجوان بينهم قليل من الشبك السنة.

2- كور غريبان: تبلغ 35 بيتاً الأكثر منهم شك وسنة، كانوا قبل نحو 80 سنة عرباً من الجحيش فصاروا منهم من الشبك.

3- أربه جي: فيها نحو 4 أو 5 بيوت من الشبك.

4- عمر قابجي: فيها نحو الخمس من الشبك السنة.

5- زهرا خاتون: أقل من نصفها شبك.

6- جنجي: فيها 15 بيتاً بينهم بيت أو بيتان من الشبك.

وهذه القرى علمتها من الأستاذ الدكتور داود الجلبي.

وعقائد الشبك وكذا الباجوان لا تختلف عن القزلباشية قطعاً، ووبينهم من لم يكن على هذه العقيدة، بل هم من أهل السنة، ويدعى الشبك أنهم اثنا عشرية ولكنهم غلاة كالبكتاشية بلا كبير فرق، بل هم قزلباشية كما ذكرت، لا يصلون، ولا

يصومون، بل يصومون تسعة أيام من المحرم، لا يصلون؛ لأن علياً عليه السلام جرح وقتل وهو ذاهب إلى الصلاة، ولا يصومون؛ لأنه قتل في شهر رمضان.

أما الزكاة فإنهم يعطون للسادة من حاصلاتهم الخمس حق جدهم، ويؤدي للسادة الذين في قراهم، أما الحج فلا يقوم به منهم أحد إلا أنهم يذهبون قليلاً لزيارة النجف وكربلاء وبعد أن تكونت السكة الحديدية كثر ذهابهم واتصلوا بمجتهدي الشيعة، فصاروا يميلون إلى الاثنى عشرية.

اعتادوا شرب الخمر، والمعروف أنهم لا يستنجون بالماء ويقولون: إنه مرآة نور الله فكيف يجوز أن ننجسه بهذا المكان القذر من أبداننا، ويعدون من المعيب جداً أن يأخذوا إبريقاً إلى بيت الخلاء ويسمون الإبريق (مسينة).

ويقولون: حب علي حسنة تمحو كل سيئة، يحترمون السادة كثيراً فيتجاوزون الحد في هذا الاحترام، والذين يعلمون القراءة من السادة يقرؤون عليهم (بويروق) وهو بالتركية في مناقب (الشيخ صفي الدين الأردبيلي)، وليس لديهم منه إلا نحو 3 نسخ أو 4 نسخ.

أوضحنا عن البويروق، وعن الكتب الأخرى المعروفة بالقزلباشية وهؤلاء لا يختلفون عنهم، والباجوان في أنحاء الموصل قسم من الغلاة منهم على عقيدة الشبك بلا كبير فرق، بل إن نحلتهم متفقة معهم، وما جاء في لغة العرب بعيد عن التدقيق العلمي، وحكاية لا يقصد منها إلا إثارة الموضوع ليظهر من يكتب فيه، وقد علمنا أن هؤلاء الشبك والباجوان على طريقة الشيخ صفي الأردبيلي، وأوسعنا الكلام على القزلباشية وهنا لا يختلف عنه.

والماولية من القزلباشية وهم والشبك على طريقة واحدة، ويقال فيهم ما قيل في أولئك، ما جاء من أنهم من الكاكائية فغير صواب، فإن القزلباشية والماولية على طريقة واحدة، والظاهر أن هؤلاء ترك وحرف النسبة يدل على ذلك فيقال (ماولي) وهو (لى)، ويعدون من التركمان على أقوى احتمال.

ومثلهم الباباوات في سنجار، فإنهم لا يختلفون عن الشبك، ويعدون من البكتاشية، ومنهم من يعدهم من الكاكائية، والفروق دقيقة، وربما كانت منعدمة.

العلى اللهية – الكاكائية

العلى اللهية يقال لهم (النصيرية)، و(العلوية)، وجاء ذكرهم في تاريخ العراق[70] وفي كتب الفرق الكثيرة، ويصعب التفريق بين هذه النِّحلة وبين الكاكائية، وسائر الفرق أو النحل المارة، كما أنه ليس من الصواب بعدها نحلة واحدة، بل التباين مشهود في أصلها، وتختلف الواحدة عن الأخرى.

وتاريخ ظهور هذه النِّحلة في العراق قديم جداً يرجع إلى أيام الإمام علي (رضي الله عنه)، وجاء ذكرها في أنساب السمعاني، ويظهر لنا اليوم أن الكاكائية لا علاقة لها بالنصيرية، كما أن القزلباشية والشبك كذلك إلا أننا نرى آثار هذه النِّحلة بارزة فيهم، بل يصعب أن نجعل بينها تفاوتاً، وذلك للتوغل في الغلوّ، والاشتراك في مبادئه، وإن كان صعب علينا تاريخ تداخل هذه بالضبط، ومن محاولات كثيرة ونصوص مشتركة لا نجد الفروق كبيرة، وإنما الغلاة على نوع واحد من العقيدة، وإن اختلفت المظاهر، أو العلاقة بالرؤساء.

وهذا ما قصه ابن دحية في كتاب النبراس في خلفاء بني العباس في العلى اللهية، قال ما ملخصه:

كانت في أيام علي بن أبي طالب (عليه السلام) طائفة أدعوه إلهاً، فعظم لديه أمرهم، واشتد عليه مروقهم من الدين، وكفرهم، فاستتابهم من قولهم فلم يتوبوا، واستردهم عن دعوتهم فلم يرجعوا، فعجل لهم أشد عذاب، وعاقبهم بالنار، فازداد بذلك تعظيماً في أعين هؤلاء؛ لأنهم قالوا: لا يحرق في النار إلا رب النار، كما ثبت عن النبي المختار، فانتقل من إحراقهم إلى نفيهم عن مواطنهم، وخرج من الإحراق إلى نوع آخر من العقوبات في نفيهم عن أماكنهم.

---

[70] تاريخ العراق بين احتلالين ج2. ص180 .

وذكر حديثاً عيَّن سنده عن البخاري:

ثم ذكر بعده إحراق علي (رضي الله عنه) للقوم.

فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): من بدل دينه فاقتلوه.

قال ابن دحية: وعلي (رضي الله عنه) إنما حرق جثثهم بعد قتلهم بالسيف، ذكر ذلك الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد [71]، قال: وروى من وجوه أن علياً إنما حرقهم بالنار بعد ضرب أعناقهم.

وكان جاء ناس من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا ! قال: ويلكم ارجعوا وتوبوا ! فأبوا فضرب أعناقهم، ثم قال: يا قنبر ائتني بحزم الحطب، فحفر لهم في الأرض أخدوداً فأحرقهم بالنار وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

هذا ما عرف عن أول أمرهم في العراق، وجاء في (الطرق الحكمية عن السياسة الشرعية) بيان لما يعمله الإمام في مثل هذه الأمور، وفي (كتاب السياسة الشرعية) لابن تيمية ما يكشف أيضاً إلا أن ابن دحية كان من رأيه أنه لا يجوز لمتول أمراً من أمور المسلمين من إمام فمن دونه أن يحكم في قضية من القضايا بغير الحكم الشرعي، وعد ما يقال من أن للملوك إقامة السياسة كان غير صواب موضحاً أن لا سياسة إلا ما جرى على القوانين الشرعية.

ولو جاز لأمور السياسة أن تخرج عن أحكام الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) لكانت (شريعة ثانية)، وذلك قول ينسخ الشريعة، ولو كان في السياسة ما يحتاج فيه إلى الخروج عن الشريعة لكانت ناقصة، وبعد كمال الإسلام بالنص فلا

---

[71] منه نسخة في دار الكتب المصرية. وله مختصرات، ومنه نسخة في خزانة المرحوم السيد عبد الرحمن النقيب.

دقيقة في الأحكام إلا وهي مبسوط عليها رداء الحكم الشرعي والنظر الديني والأمر الإلهي[72].

هذا قول صاحب النبراس بإجمال، وإن ما سماه سياسة فهو من الدين أيضاً وليس خروجاً عليه، بل سعة واطلاع وإدراك للشريعة، وجاء في تفصيل ذلك في الطرق الحكمية وفي السياسة الشرعية: وإن عمل أئمة المسلمين قدوة لمن جاء بعدهم، وفيه من التصرف بالنصوص ما هو محمود يدل على تصرف في المجاري الدينية وإدراك لأغراضها بعقل وحكمة، أما الجمود فإنه ناجم عن التوغل في الوقائع الجزئية دون التفات إلى عموميات الشريعة وأحكامها الشاملة ببصيرة.

ولا يزال الغلاة من على اللهية وغيرهم موجودين في العراق، فالطوائف الغالبة تسترت بأسماء جديدة، وكلها مغزاها واحد، وتقرب هذه النِّحلة الكاكائية والقزلباشية وغيرهما في أمور كثيرة.

وكان على هذه النِّحلة في العراق كثيرون ومنهم الشيخ رجب النبرسي[73] على رأي أشهر العلماء ومنهم المشعشعون، ويقرب منهم الكشفية وغلاة التصوف وسائر الباطنية، وجاء في مؤلفات كثيرة ذكرهم، وتعرضت لهم في تاريخ العراق بين احتلالين[74] ونقلت ما في (كتاب دبستان مذاهب) من نص، ومثله ما ذكره الأستاذ المجلسي في كتابه (تذكرة الإخوان)، وقد سبق أن أوردت النص المنقول منه[75].

ومن النصوص الشعرية التي شاعت بينهم:

1- شهادتهم، قالوا:

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين

---

[72] النبراس، ص107 وص 92.

[73] وله المشارق طبع في بومبي في جمادى الأولى سنة 1303 هـ، ومؤلفاته كثيرة صاحب الفوائد الرضوية الشيخ عباس القمي، ج1، ص179 وفي روضات الجنات آيضاً.

[74] تاريخ العراق بين احتلالين ج2، ص180 – 181 وج 3، ص125 وص 156.

[75] تاريخ العراق بين احتلالين ج3، ص153.

ولا حجـــــاب عليـــــــه إلا محمــــــد الــــــصادق الأمـــــين

ولا طريـــــــق عليـــــــه إلا ســـــــلمان ذو القــــوة المتــــين

2- مما نقله الأستاذ الفاضل السيد أحمد حامد الصراف:

يهنـا الغـرى فقـد تـضمن علـة الـ إيجـاد والـسبب الـذي لا يقطـع

فيـك انطـوى هـود لآدم يختفـى ولـصالح فيـك ابـن متـى يتبـع

فيـــك الـــصراط المـــستقيم وآيـة الـدين المبين ومـن إليـه المرجـع

يـا مـن تـسبح باسـمه الأمـلاك في أفلاكهـا وإذا دعاهـا تـسرع

سـخرت أمـلاك الـسماء وشمـسها منقـادة لـك مـا تغيـب وتطلـع

وكذا نقل:

عـلي بـشطر صـفت الإلـه حيـت وفيـك يـدور الفلـك

ولمـا أراد الإلـه المثـال لنفـي المثـل لـه مثلـك

لقـد كنـت علـة كـل الـورى مـن الإنـس والجـن حتـى الملـك

وعلمـت جبريـل رد الجـواب ولـولاك في بحـر قهـر هلـك

ولـولا الغلـوّ لكنـت أقـول جميـع صـفات المهـيمن لـك

حدثني أحد رجال الكاكائية أن الفرق بينهم وبين النصيرية قليل جداً، وأنهم يشتركون معهم في كثير من المطالب وقد جاء في (روامیز الأعيان) أن النصيرية أميل إلى تقرير جزء إلهي في الأئمة، والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة، ولكن ا ليوم لا وجود لهذه العقيدة عندهما، إنما أصابها التحوير والتعديل، والإسحاقية اليوم لا يقولون إلا في تقرير الجزء الإليه في الأشخاص لا في الأئمة بعينهم، بل في الحلاج، وفي بهلول، وفي ابن العربي، وفي كثيرين، ويسمون السادة بـ (أولاد الأئمة)

ويحترمونهم لا لظهور جزء إلهي، بل لمجرد أنهم من أولاد الأئمة، ومثله في الملل والنحل للشهرستاني:

" قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أما في جانب الخير كظهور جبرائيل (عليه السلام) ببعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي والتمثيل بصورة البشر، وأما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الحية بصورة بشر حتى تتكلم بلسانه، فلذلك نقول: (إن الله ظهر بصورة أشخاص)، ولما لم يكن بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل من علي، وبعد أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم.

فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم وإنما أثبتنا هذا الاختصاص بعلي دون غيره؛ لأنه كان مخصوصاً بتأييد من الله مما يتعلق بباطن الأسرار، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)، وعدا هذا كان قتال المشركين إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقتال المنافقين إلى علي (رضي الله عنه) وعده هذا شبهه عيسى ابن مريم وقال: (لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالاً).

وربما أثبتوا له الشركة في الرسالة إذ قال: فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وإلا فهو صاحب الفعل فعلم التأويل وقتل المنافقين، ومكالمة الجرة، وقلع باب خيبر لا بقوة جسمانية من أدل دليل على أن فيه جزءاً إلهياً، وقوة ربانية، أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده، وأمر بلسانه.

وعدا هذا قالوا: كن موجوداً قبل خلق السموات والأرض، قال كنا ظلة على يمين العرش فسبحنا وسبحت الملائكة تسبيحاً، فتلك الظلال والصور العرية عن الأظلال هي حقيقة، وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم، وعدا هذا قال علي (رضي الله عنه): أنا من أحمد

كالضوء يعني لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق، والثاني لا حق به، وهذا يدل على نوع الشركة. انتهى.

ويلاحظ هنا أن الإسحاقية (الكاكائية) اليوم لا تقول بنوع الشركة، وإنما يعدون محمداً كبيراً، ولا يقولون بشركة ما، ولا أثبتوا رسالة، ولعل القارئ يقول: من هذا يعلم حينئذ أن لا فرق بينهم وبين النصيرية، فأقول: المعتقد مشترك ولا يكاد يفرق بين طائفة وطائفة، ومن ثم نعلم أنهم يقولون بالظلال والصور العرية عن الأظلال، وعندهم هي الحقيقة أو (الحق).

ومن ثم سموا بأهل الحق، ويقولون: إن إسحق (سلطان إسحق) أول من ظهر به الإله بعد الإمام علي، ثم توالى الظهور فيمن يعرفون ومن لا يعرفون، وفي (الملل والنحل) للشهرستاني ما هو عين المنقول عن (رواميز الأعيان) وفي (دبستان مذاهب) ما يعيِّن أو يوضح أكثر، وقد ذكرت النص المنقول منه في(تاريخ العراق).

وقد حصلت على منظومة عربية مخطوطة[76] للعلي اللهية أو النصيرية جاء فيها أن علياً (رضي الله عنه) منتهى المطالب وملجأ النبي في النوائب، وأنه مرآة للذات قدماً وصفاته صفات الذات، وتفعل فعلها، وهي أشبه بالحديدة المحماة، ويصرحون في تلك المنظومة أن علياً ذات الرب، وهو الرب الجلي، والله تعالى باطن غير ظاهر، وأنه باطن محمد، وأن الدين ظاهر وعلي باطن، وهو الذي حارب على تأويله، فهو مظهر الإله، وهو المعبود، وهو الوصي الأزلي الأبدي ويدعو فيها إلى حب علي، ويلح ويبالغ في لزوم حب أولاده، وحب محبيهم، وبيَّن أن محب علي في الجنان ومبغضه مخلد في النيران ويعد أبناؤه، وباقي أوصيائه الاثني عشر، يؤكد ما جاء في (دبستان مذاهب).

هذا، والعلي اللهية لا يختلفون عن الكاكائية، ولعل الاشتراك في أصول العقائد أدى إلى القول بأنهم غيرهم، وينقل عنهم أنهم لا يقفون عند الحلول بعلي (رضي الله

---

[76] هذه المخطوطة رأيتها لدى معالي الأستاذ توفيق وهبي، ومن نسخته نقلتها.

عنه)، وإنما يرون سادتهم محل الظهور، أو ما يعبرون عنه بالحلول، وهكذا المسموع عن النصيرية، ورؤساء الكاكائية في أنحاء كركوك، دخلتهم هذه العقيدة من طريق غلاة التصوف، ورؤسائهم سادة، ويؤكدون بأنهم مسلمون.

وهذا شأن غلاة التصوف، وهم أقرب إلى البكتاشية لا يقوم هؤلاء، ولا الكاكائية بالعبادات المفروضة، ولكن عقائدهم اكتسبت شكلاً خاصاً مما يبعدهم عن الإسلام، وهكذا يقال في القزلباشية، والمواطن متقاربة، وكذا العقائد.

ومن الفيلية قبيلة على عقائد الكاكائية يقولون: إنها من (العلى اللهية)، وهؤلاء لا يفترقون عن الكاكائية، ولهم طعام خاص يقال له (جك لبلوران)، في محل يعرف بهذا الاسم، وهو (تل بلوران) والطعام الذي يصنعونه هناك يسمى (لقمة داود) يذبحون فيه الذبيحة، فيأكلون من مطبوخها يتخذون منه اللقمة، وهذه اللقمة عند البكتاشية أيضاً، ويشبهونهم من وجوه، وإن التل المذكور يقع شرقي صيمرة في محل يبعد عنها نحو 10 ساعات للراجل.

هذه حالتهم، وهكذا عند الكاكائية ما يعملونه من أكلات كهذه، ولم يكن مقصوراً على محل بعينه إلا أنهم في (دكان داود) يقومون بعين ما يقوم به أولئك وعقائدهم متفقة لا تختلف، ويجري ذلك في (ليلة الاجتماع).

ومن المهم بيانه أن خزانة كتب باريس الأهلية جمعت الكثير من كتبهم، وهي مهمة جداً لمن أراد التوغل وللأستاذ رنه (Rene dussaud) كتاب في العلى اللهية (النصيرية) طبع سنة 1900م، وفيه مراجع كثيرة من كتبهم، ولا شك في الموضوع على ما أعتقد لم يبق فيه خفاء وتكثير الأمثلة لا يفيد في زيادة المعرفة، وعندي كتاب للدروز رد به صاحبه على نصيري سماه (رد النصيري الملحد) وفيه ما يعيّن أوجه الاختلاف بين النصيرية والدروز.

غلاة التصوف - الكاكائية

لا لوم على الكاكائية في غلوهم، فإنهم لا يختلفون عن غلاة التصوف، وهؤلاء دخلوا العقائد والنحل وتسربوا إلى الطرق من مدال كثيرة، وكتب غلاة التصوف بحثت فيها في موطن غير هذا، ومن أهم تدخلاتهم (الأدعية) الغالية، اختلقوا الكثير منها وبالغوا فيها فشاعت بين أهل السنة وبين الشيعة، وبين هذه الأدعية ما يصح أن ينسب إلى العلي اللهية، المطالب واحدة، وهؤلاء المتصوفة احتلوا التكايا، بل سيطروا على الكثير منها، ومن أهم ما تدخلوا فيه أو أدخلوه من عقائدهم كان من طريق هذه الأدعية، فتجاوزوا حدود الدعاء المشروع، ذلك ما دعا أن يجمع العلماء الأدعية المأثورة والمعروفة بوجه صحيح، فكتبوا رسائل ومجاميع لأمل أن تنال رواجاً دون تلك.

ومن أدعية الغلاة يفهم أنهم لا يختلفون عن العلي اللهية وعن غلاة التصوف ولا عن الكاكائية وأضرابهم، ومناجاة محيي الدين بن عربي، وكتب زيارات كثيرة بلغت من الغلوّ المنتهي، والتعرف لعقائد الغلاة من طريق الأدعية التي لم تكن من المأثورة يؤدي إلى الاتصال الوثيق بالنِّحلة أو النحل، ومنها يفهم تاريخ النفوذ والتدخل.

ولا ينكر الدعاء، بل هو مأمور به إلا أن تجاوز حدود المأثور منه يوقع في المهالك، وتاريخ الأدعية الغالية يدل على توغل عقائد أهل الإبطان بين ظهرانينا وعلى درجة إفسادها من هذه الطريقة، بل نراها عبادة أشخاص وغلو فيهم، بل صرف الناس عن العبادة والاستغناء بالأدعية، ولعل من أسبق الأدعية الغالية (مناجاة محيي الدين)، ولا شك أن التحقيق يجلو عن الغرض، وأعتقد أن هذه الأدعية بدأت بتاريخ ظهور أهل الغلوّ، واستمرت إلى أيامنا، فأعاد ذكرياتها (البهاء) في مناجاته.

وكتب الغلاة في الأدعية كثيرة ومنتشرة، وكذا (عقائد الصوفية)، كانوا يتكتمون بها، والآن ظهرت، فلم يبق خفاء أو تستر، وقد تكلمت عليها في موضوع خاص، فأكتفي هنا بالإشارة.

وهنا أقول: إن أهل (سركلو)[77]، وهي قرية من ناحية سورداش على هذا الغلوّ، وتبعتها قرى أخرى مثل طورازاوة، وشدله، وعسكر، وأصل هذه نقشبندية الطريقة ورئيسها الشيخ عارف ابن عم السيد أحمد خانقاه، غلا فتبعوه، وكان من مريديه ملا رشيد وقد توفي الشيخ عارف، والآن خلفه ابنه الكبير الشيخ رضا، وهو مسموع الكلمة عندهم، ويقال لهم (أهل حقا).

ويقال: إن الشيخ عارف أدخلهم في هذا الغلوّ حذراً من تغلب بيشدر عليهم، والحال أن هذه الطريقة حلاجية تأثر صاحبها بالحلاج، وبين أهليها تعاون، ولا تختلف عن أهل الحق، علمت ذلك من كثيرين وقفوا على أحوالهم، وهذه صفحة من صفحات الغلوّ.

---

[77] سركلو، معناه (رأس المضيق) قرية معروفة. بل اشتهرت بهؤلاء أعني هذه الطريقة.

أدب الكاكائية – شعرهم

موضوع عزيز، ومطلب صعب، وغرض جليل في توضيح نزعات القوم، وآرائهم الخاصة سواء في عقائدهم أو في نواحي الاتجاه في الآراء.

ولعل في الكتب المنسوبة إليهم ما يعيّن وجهة أنظارهم، ويعد ذلك من خير المراجع وأخلها في المعرفة، فلم يقفوا عند الشاعر المعروفة (هجري دده)، ولا عند غيره أمثال نسيمي، أو ويراني وأضرابهم، فإنهم يحفظون مقطوعات يسمونها (بويروغ) ويريدون ما يريده البكتاشية بـ (أنفاس)، وفي العربية يصح أن يعبر عنها بـ (ما تفضل به) أو (أمر به) ويقابلها (مختارات الشعر)، أو (مجاميع شعرية) إلا أن هذه خاصة بما تحمل آراؤهم، وينطوي على نحلتهم.

ولا نريد أن نعيّن ما هنالك من مقطوعات، أو تقرير شعراء، وإنما ذلك يخص (الآداب الفارسية) وشعر الإبطان فيها، و(الآداب التركية) وشعر (الطرق الغالية)، ولم يكن الهدف إلا تفهم النواحي الدينية من طريق الشعر، وأود هنا أن أقول: إن ما له مساس بهذه الناحية قد فصلته في تاريخ الأدبين التركي والفارسي في العراق، وكله لا يخلو من ذكر (وحدة الوجود) أو (الاتحاد) أو (الحلول) والإشارة إلى الحروفية ومطالبها، وقد تكلمت في (نسيمي)، و(فضل الله الحروفي)، وعيَّنت كتبهم في (تاريخ العراق بين احتلالين) وكلها تعرض (للحروفية) و(العلى اللهية)، ولا يخلون من اشتراك.

في المقطوعات المختلفة المنتشرة من ديوان ويراني، وديوان نسيمي، وديوان فضولي البغدادي وروحي البغدادي ما يعيّن (الفكرة الدينية) أو النِّحلة والطريقة، استدلالاً من شعرها، وفيها تنوع في البيان، وتبليغ للسامع من أقرب الوجوه، بل فيها كل البيان والإيضاح، وهذه طريقة مهمة في تلقين العقيدة ورسوخها، ولها مكانتها في التعليم، دون أن يحتاج إلى كتاب، ويلقن من طريق الشعر دون أن يكلف

بحفظ أو استظهار، وفيها ما يلفت الأنظار ويستدعي تبسيط العقيدة، سعى إليها رجالها سعياً حثيثاً.

فإذا كانت عقائدنا مقصوراً تفهمها على العلماء، ولا تعرف إلا من طريق الدرس، وأنها فلسفية عويصة ومجادلات مع الآخرين فمن الضروري جعلها بحالة أمام العين لا ترى فيها كلفة، فإن هؤلاء كانوا باتصال، ولا يزالون متصلين برجالهم يلقنونهم، ولم يلقنوا طائفة خاصة بخلاف ما عندنا فإن العلماء لم يكووا باتصال بالسواد الأعظم، ولا احتكاك به في تلقين بسائط العقائد، وهذا النقص مشهود في حين أن هؤلاء ينظمون بالعامية وينشرون آرائهم ويبلغونها بأسهل طريق.

وكل عقيدة لم تتصل بالعوام تكون بعيدة عنهم، وتخص الطائفة المتعلمة، وتستوجب أن يكون أهلوها جهالاً لها، وعادت العقيدة الإسلامية كذلك، فخلت من تعليم العوام وفقد العلماء قدرة التفهيم وأن يكلموا الناس على قدر عقولهم وفهمهم، في حين أن أهل الإبطان لم يتركوا مثل هؤلاء العوام، وإنما اتخذوا طريق التعليم بما يفهمون.

وقد قص على أحد العلي اللهية ما عندهم من أشعار في معنى ما عند الكاكائية بلا فرق ولا اختلاف إلا أن هذا باللغة العربية وذاك باللغة التركية.

ويعرف اتصالها عندنا بما نتناوله من شعر فضولي، أو شعر روحي البغدادي ومن تلاهما ممن سار على هذه السيرة، مما يتبادر أنها تصوفية، وهي لا تفترق عنهم.

فإذا علموا ما يتعلق بالإمام علي (رضي الله عنه) وطريق الاتصال به أمكن الانتقال إلى أرباب الحلول الآخرين، وكتب الفتوة لا تعيِّن التفصيل، ولهم كتب مكتومة يتداولونها.

الفتوة - نصوصها

(بتلخيص)

علمنا تطور الفتوة، وأنها كانت طريقة (عمل الخير) ولم تمس الأصول الإسلامية، ولم تتعرض لها بسوء، بل كانت من أقوى مناصريها، ثم دخلتها عقائد غالية، فظهرت في الكاكائية كما ظهرت في غيرها.

وفي عصور المغول والتركمان، بل من أيام الخليفة الناصر انتشرت في الأناضول، ثم تولدت فيها فكرة الإبطان، وتلخص مطالبها في (العهد) من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإمام علي، ثم إلى سلمان الفارسي، بقيت ماهية هذه الطريقة مجهولة، تقبل كل تفسير، ثم روعي الشد.

وفي كتب الفتوة الأخيرة ما يوضح بعض المطالب السابقة، أو أن لها أصلاً، وهذه الكتب منها ما كتب باللغة التركية ولا تختلف كثيراً عما كتب باللغة العربية، بل إن كتبهم بمختلف العصور تعيِّن التطور المشهود.

يطلب من المريد الطاعة، وأن يكلف بتكاليف شاقة، ويوصى بالكتمان، وأهم أصلٍ فيها امتثال الشيخ وتنفيذ أمره دون تردد، وهناك ما يؤخذ بالتدوين، وإذا كانوا بعد دخول الإبطان يخافون من أهل البلاد وبطشهم وأن تجترم عقيدة جماعتهن، فلا شك أن التخفي كان ضرورياً لنجاح دعوتهم، ومن أهم ما يركن إليه الطاعة والكتمان.

شاع الإبطان فيها، فاتخذ وسيلة لإدخال ما يريدون من آراء، دامت هذه وتمكنت، وهم لا يزالون على كتمانهم، وهكذا فعل غيرهم من الإسماعيلية على اختلاف صنوفهم حتى أيام سلطانهم وإبان قدرتهم، فلم يفشوا عقائدهم، وكانوا يتسترون لخدمة هذا الغرض وأشعار الباطنية منتشرة بكثرة، ومن أهم ما فيها الدعوة إلى رفع التكاليف، وإلى وحدة الوجود، والاتحاد، والحلول، أو ما يعبرون

عنه بالتجلي، نرى فيها الدعوة إلى إصلاح الباطن دون الاهتمام بالرسوم وشعر الخيام، وإضرابه في مختلف العصور من مؤيدات ذلك، كانت أوضاعهم هذه مما يقضي منها العجب في جهودها، ومزاولة شأنها بطرق لا تخطر على بال، ويؤكدون في هذه الحالة أن لا يفضح السر.

وهناك غرض سياسي مالوا إليه بعد أن تمكنت الفكرة الغالية، وكثر معتقوها، ورأوا إقبالاً وشعروا بالقوة، فأرادوا أن يناصروا عقيدتهم بالسيف بعد أن رأوا ضعفاً في الحكومات، فكونوا حكومات في الأناضول، وزاد خطرهم من هذه الناحية، وحدثت وقائع مؤلمة فانفرط عقد الجماعة، ونكل بها العثمانيون وتوالت عليها النكبات، ويقال: إنهم صاروا إلى العراق للنجاة من العسف والجور، وسموا باسم اشتق من لغة أهل المحل، ورأوا التربة صالحة استفادة من بساطة القوم، وصفاء قلب هذا الشعب وحسن نيته كسائر أهل البوادي.

نعم إن الاتصال غير مجهول، والنِّحلة واحدة، والملحوظ أن قدم هذه الطريقة معروفة في إيران والعراق، ويصح أن يكونوا قد لجؤوا إلى إخوانهم بعد تلك النكبات، ولكن هذه النِّحلة معروفة قديماً في العراق، ونحلة الإسحاقية تبدل اسمها إلى كاكائية، وصارت تدعى اليوم بـ (طريقة أهل الحق)، وهو موجودة قبل تكون العثمانيين، وعلى كل مات المطلب السياسي، وعاد لا يدخل أذهان الجماعة، ولا يتطلبون النشر واكتساب آخرين من طريق الدعاية، وبث الدعة، فهم محتفظون بما عندهم، وليس لهم آمال أخرى.

ولا ينكر أن الطريقة، والنِّحلة قد تداخلا، والمعروف اليوم أنهما جمعا معاً، ولم يكونا كذلك، فالنصوص لا توضح ذلك والظاهر أن أهل النِّحلة قبلوا الطريقة.

ويهمنا أن نجمل المطالب المعينة في كتب الفتوة للعصور المغولية فيما بعدها، ولا تختلف إلا من ناحية التفصيل، والاختصار، واعتماداً على عدة نسخ نقرب ما بينها، وترمي كما قلنا إلى أمرين الطاعة والكتمان، ولم تتدخل في غيرهما إلا بأمور ظاهرية كما أن فيها ما يفسر بعض التقاليد والعوائد.

الفتوة وأركانها

-1-

الفتوة

1- الفتوة:

طريقة تصوفية معروفة مدونة، نحاول في هذا لعجالة أن نقدم تلخيصاً عنها ليكون المرء على أهبة من المعرفة.

وطبقات هذه الطريقة:

1- الأبوة.

2- الأخوة.

3- البنوة.

هذه مراتب أصحاب هذه الطريقة، و(البنوة) أعلى درجاتها، وتليها (الأخوة) وتشمل السالكين، ولا ينال كل منهم الأبوة؛ لأنها خاصة بالسادة، ولا يكون مرشداً إلا بعد أن يتخرج، ويكون أستاذاً في الطريقة ويصير رئيسها أو في درجته، و(البنوة) تطلق على أبناء السالكين قبل أن يدخلوها.

وكان لهذه الطريقة مكانتها العظيمة، وفيها ما يعيِّن تقلباتها لمختلف العصور، وتسمى هذه الطريقة عند أهل خراسان وأهل العراق (قبلة)، وعند أهل مكة والمدينة المنورة (مقام الإنصاف).

2- عمن تؤخذ الفتوة:

إن نقيب هذه الطريقة يسمى (ترجمان القوم) ويقال: لم يكن مبلغاً عنه (لسان الترجمان) وهو (البيشدوش) في مصطلح أهلها، وتارة يقوم التركمان في التبليغ بنفسه.

3- أركان الفتوة:

إن الفتوة بما فيها الأبوة والأخوة والبنوة تلخص أركانها في:

1- العهد والميثاق.

2- الشد.

وعليهما تدور المباحث.

-2-

العهد

وهذا لا يختلف عن عهد الإسماعيلية والتحرز فيه من أن يبوح الداخل بما علم، أو يفضح السر،

إن نقيب القوم يقف ويترجم، وأول ما يبدأ بـ (الفاتحة)، و(الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)) ثم يقول:

- قبلتم نصيحة الترجمان؟

فيقولون:

- قبلنا!

وعند ذلك يقرأ الفاتحة، ويذكر المشايخ والصنائع، ويقول:

- أقسمت عليك بالله العظيم، وبموسى الكليم وبروح الله عيسى الأمين، وبمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين بأن لا تظهرها لغير أهليها ولا تمنعها من أهلها لقوله (صلى الله عليه وسلم): لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم !

ومن هنا نشأ السر وحصل التكتم وأن لا يبوح أحد به.

والأنبياء أصحاب الطريقة:

1- آدم.

2- نوح.

3- داود.

4- إدريس.

5- شيث.

6- إبراهيم.

7- محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وهؤلاء أصحاب العبادات السبعة، ومنهم أربعة أئمة الطريقة والخرفة، ولكل نبي منهم تكبيرة:

1- تكبيرة الرضاء – لآدم.

2- تكبيرة الفناء – لنوح.

3- تكبيرة الوفاء – لإبراهيم.

4- تكبيرة الصفاء – لمحمد صلى الله عليه وعليهم.

وقد شرح صاحب كتاب الفتوة هذه التكبيرات، وأوضحها إيضاحاً شافياً.

وأهل الإبطان وكذا هؤلاء حاولوا أن يلقنوا طريقتهم من نواحي تعليمية، وأهمها لا مساس له بأصل العقيدة، بل يراد به الامتثال للأمر، وطاعة الرؤساء، والتزام ما يأمرون به وأن يكون مكتوماً، وغالب ما عندهم أن يشددوا النكير في أمر العهد، وهذه مأخوذة في الأصل من ناحية حقة، وهي: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ [سورة التغابن: 16].

والفرق أن المسلم سامع مطيع لأوامر الله، مجتنب نواهيه ولا يلتفت إلى الأشخاص المعبر عنهم بالسادات والكبراء حذر أن يضلوهم السبيل، ولم نر نهجاً مكتوماً، وإنما هو عام في جمع العالم، ولكن هؤلاء حصروا السلطة في الآباء (بابائية)، والأمراء السادات ووقفوا عندهم ولم تكن عندهم الطاعة محدودة، والانقياد مقصوراً على أمور محصورة، بل هناك طاعة عمياء، وإلا فقد كان الأولى لمن هذا

شأنهم في التعاون والتكاتف، وحسن العقيدة أن يملكوا العالم ويسيطروا على الباطل وأن يدحضوه ويزهقوه.

نعم إن البشرية في أعمالها أثبتت أن قبول الحق هو الخير المفيد، وإن التكاتف المجرد الذي لم يكن مقروناً بالتناصر للحق أو دفاعاً عنه غير معتبر، سواه في العقيدة والعمل مراعاة لأحكام الآية الكريمة ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [سورة المائدة: 2]

في شرح هذه التكبيرات في الحقيقة تعيين لما يقوم به هؤلاء من مراسيم ظاهرية تأييداً لهذه الطريقة بنسبتها إلى مشاهير الأنبياء، ويصح أن نقول: إن هؤلاء قد بالغوا في القيود والرسوم حتى كادت تبلغ مقدار ما هو معلوم من أحكام الشريعة إن لم تتجاوزها، ولما كانت ترى مجموعة وفي الوسع معرفتها دفعة واحدة فلا يضجر المرء من سردها.

وترك الشرح لهذه التكبيرات قد يوقع في اللبس فيظن أن إهمال هذا لغرض كتم فوائدها وحرمان الناس منها، أو يدعو حب التطلع إلى هذه المعرفة، وأتى مورد ما جاء عن كل واحدة باختصار!

1- تكبيرة الرضا:

كان آدم وحواء في الجنة، وقالوا وأتت عندهم الحلوى فأتاهم الشيطان فدلهم على الشجرة ودعاهم إلى أكلها، فكان ما كان من القصة المعروفة سواء في القرآن، أو في كتب التاريخ والسير، فتاب، وجاءته الملائكة فألبسته التاج على رأسه، وكسته (حلة الاصطفاء) وسميت (خرقة الفتوة)، وعند ذلك قال آدم: (الله أكبر) فصارت هذه تسمى عند أرباب الفتوة (تكبيرة الرضاء).

قالوا: ثم إن جبريل صار معلماً لآدم، وميكائيل صر (الأب) لآدم، وصارت(الأخوة) من ذلك الوقت، وحينئذ أخذ الله من آدم (العهد) ومن ذريته الميثاق وكانت ذريته لا تزال في ظهره.

قالوا: ثم أخرج له مشطاً، مشط به رأسه، وقص أظافره، كبر تكبيرةً واحدة، ثم أخرج لآدم سجادة الخلافة وأجلسه عليها، وأخرج له من الجنة جلاباً وعسلاً وخلط بينهما وعمل من ذلك (حلوى)، وضعها في طبق وأعطاها لآدم وصار يلقم لقمة بعد لقمة فأكل منها وأطعم حواء، وباركت حواء لآدم، ثم بعد ذلك نزل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومعهم جماعة من الملائكة فباركوا وعادوا.

ومن هنا صار يراعى في الطريقة أولاً أن يحلق الرأس المريد، ثم يؤخذ عليه العهد بالتوبة ويلبس التاج، والخرقة، ويشد وسطه بـ (الشد) ويعطى علماً يعني (شارة)، ويجلس على السجادة، ويطعم الحلوى ويلقمون بعضهم بعضاً في المحفل، يرسلون الحلوى من مكان إلى مكان، أو من مدنية إلى مدينة، ويعطون منها من كان حاضراً في الحفل، ومن كان منهم فصيح اللسان يترجم لهم بالطريقة والأركان ويقول: أعطي آدم الفتوة إلى شيث، وهذا أعطاها إلى أنوش، ومنه انتقلت إلى نوح (عليه السلام).

وهذه تفسر ما يقومون به من أكلة المحبة، وما هنالك من مخلفات.

2- تكبيرة الفناء:

وهذه تكبيرة نوح (عليه السلام) قالوا: إنه عاش بعدما نزلت عليه الفتوة (400) سنة، كان يدعو قومه فلم يؤمن منهم سوى 40 رجلاً و40 امرأة، وثم نادى: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [سورة نوح: 26]، فنزل جبريل الأمين وأخبره بخبر الطوفان فكبر، وسميت هذه التكبيرة (تكبيرة الفناء) يعني بأن الله أهلك أعداءه، وبعد ذلك أتى جبريل (عليه السلام) وجاءه بعنب وتين من الجنة وخلط بعضه ببعض حتى صار مثل الحلوى، وأعطاه لنوح (عليه السلام) فأكل منها وقسم الباقي على المؤمنين، ونوح أعطى الفتوة إلى ولده سام، ثم صارت تنتقل من واحد إلى آخر حتى وصلت إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام).

3- تكبيرة الصفاء:

كان أمر الله إبراهيم (عليه السلام) ببناء الكعبة فأتاه جبريل وميكائيل وإسرافيل ومعهم عدد من الملائكة فشده جبريل لـ (شد) في وسطه فصار أباه، وميكائيل صار أخاه، وأتى جبريل إليه ومعه طبق فيه حلوى من الجنة فأكل الخليل وقسم على المؤمنين، ثم إن جبريل أراه موضع الكعبة فبدأ بعمارتها، وأراد الله أن يعمر بيته، ثم أمر الخليل أن يقرب ولده إسماعيل قرباناً فلم تعمل فيه السكين.

وبينما الخليل متحير؛ إذ هبط جبريل ومعه كبش من الجنة وقال: هذا فداء ولدك إسماعيل فقال: " لا إله إلا الله والله أكبر "، فسميت هذه التكبيرة (تكبيرة الصفاء)؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) كان مكدر الخاطر، فلما جاءه الفداء حصل له الفرح والسرور بنجاة ولده، وأعطى الفتوة إلى إسماعيل، وما زالت تنتقل من واحد إلى آخر حتى وصلت إلى عيسى (عليه السلام) ومن عيسى انتقلت إلى عالم الغيب.

هذا، وحكى قصة البيت وبناءه بالوجه المعروف تقريباً، ويحكون أن إبراهيم لما أراد أن يبني البيت جاءته عجوز وقالت: لي شبر في هذه الأرض، وإن الله جلّت قدرته لا يظلم مثقال ذرة، وكان بيتي هاهنا فأراد إبراهيم أن يدلها حذر أن تكون عاصية فقالت له: إن ربي لا يظلمني في بناء بيته فهبط جبريل (عليه السلام) وقال: يا إبراهيم أعطها ما تريد.

فجاءت العجوز مرة ثانية فقالت: لا تبن في أرضي فقال لها: هل تقبلين مني عن أرضك الإبل والبقر والغنم مهما أردت فقالت: لا أقبل شيئاً مما ذكرت فقال لها: ما تريدين فقالت: إذا كان لابد من أخذ الشبر من أرضي وإضافته إلى البيت الحرام فالشرط عليك أنك إذا عمرت البيت أن تسلمني مفاتيحه عوضاً عن أرضي، ويكون ذلك لي ولذريتي من بعدي إلى يوم القيامة، فقال لها إبراهيم: نعم فقالت له: عاهدني على ذلك، ومن ثم أتى جبريل وأمره بالعهد، وأذنت له بالبناء.

ثم ذكر عمارات البيت وبناءه سبع مرات، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر بمراعاة العهد وعظيم قدره، وتلا آية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ

﴿... بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: 27].

وعهود الفتوة:

1- من الله تعالى إلى جبريل.

2- إلى آدم.

3- إلى نوح.

4- إلى داود.

5- إلى شيث.

6- إلى إدريس.

7- إلى إبراهيم وولده إسماعيل.

8- إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) ومنه إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومنه إلى سلمان الفارسي، ثم إلى من أخذ العهد والشد من أصحاب الفتوة.

4- تكبيرة الوفاء:

وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أسرى به ليلاً بالوجه المعروفة وأكرم بما لم ينله بشر ولا ملك، ورجع النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد جمع أسباب السعادة في ليلته، ففرح بما أعطاه الله من الكرامة وقال: الحمد لله والله أكبر، فسميت هذه التكبيرة (تكبيرة الوفاء).

وهذه تستند إلى أخبار غالبها ليس له أصل صحيح.

الشد

إن الطالب لأركان الطريقة عندهم يجب أن يعرف مذهبه ويتعلم ما يحتاج إليه في دينه، ثم يعرف شيخه ويمتثل أمره في جميع الحالات، ويسأله عما يحتاج لمعرفته، فإن من حقوقه عليه امتثال أمره والسعي له، ومن حقه عليه الإفادة والتعليم والإرشاد، وأن لا يكتم عليه شيئاً مما يحتاج إليه.

وأصل الشد أن يكون بعد العهد، ولا يجوز أن يكون شد بلا عهد، ويجوز أن يكون عهد بلا شد.

ويوضح الشد عندهم أن النبي(صلى الله عليه وسلم) لما حج حجة الوداع وعاد راجعاً إلى نصف الطريق إلى مكان يقال له (مطلع الغمام) أتاه الوحي ونزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة المائدة: 67].

وفي الحال أمر النبي(صلى الله عليه وسلم) أن ينصب له منبر من أقتاب الرحال فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة، ثم قال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم قالوا: الله ورسوله. فقال النبي(صلى الله عليه وسلم): من أطاع مولاه واجتنب ما نهاه، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل مَن خذله، (ثلاث مرات) ثم قال: أنا وعلي من نور واحد، وعلي مني وأنا منه بمنزلة هارون بن موسى، اللهم أدر الحق معه حيث ما دار.

ثم قال: لكل نبي وارث وأنت يا علي وارث علمي وابن عمي وقائم مقامي، وأنا خاتم الأنبياء وأنت خاتم الأولياء وأمير المؤمنين، لا يحبك إلا المؤمن، ولا يعاديك إلا الكافر الشقي، ثم إنه صلى الله عليه وسلم حول وجهه نحو الصحابة، ثم قال: أنا خاتم المرسلين وأفضل الأنبياء، وعلي أفضل الأولياء، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا علي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة فقال: بخ بخ لك يا علي.

ثم نزل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المنبر وصلى ركعتين، ثم صلى الظهر وجلس وجلست الصحابة والأنصار حوله، ثم أخذ الحرام من على كتفيه بيده الشريفة وطرحه على السجادة، ثم عاد وقال: اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً وأشهد رسلك وأنبياءك وملائكتك وحملة عرشك وسكان سمواتك وأرضك وما فيهما من خلقك وما بينهما أنك أنت الله ملك قدوس لا شريك لك، جبار متكبر، خالق رازق، رقيب، رب كل شيء، تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

ثم أخذ الحرام وحطه على رقبة الإمام علي بن أبي طالب، ثم قال له: قم يا علي قدامي فقام الإمام علي قدام النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): اجلس فجلس الإمام علي (رضي الله عنه) فقرأ النبي (صلى الله عليه وسلم): ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة آل عمران: 16]، ثم أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) الحرام من على رقبة الإمام علي (رضي الله عنه) وشده في وسطه وقال له: يا علي هذا هو الشد الذي شده لي أخي جبريل ليلة المعراج في وسطي وأخذني إلى حضرة الحق جل جلاله، وأنا أشده لك في هذا المحفل.

ثم إن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا له وقال: الحمد لله الذي خلق آدم وجعله خليفة حكمه وأرسل إليه جبريل وشد وسطه بعد أن أخذ عليه العهد وأوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم قال:

اعلموا يا أصحاب الفتوة الصراط ما يقطعه إلا الفتيان وكل كريم صادق اللسان.

وقال النبي عليه السلام:

اعلموا رحمكم الله أن الفتوة حائط الشريعة وهي شعاري وشعار الأنبياء والمرسلين ودثار الأولياء والصالحين من بعدي، وقال الله تعالى وهو أصدق

القائلين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران: 200] ثم إنه صلى الله عليه سلم أخذ الشد وداره من الجانب الأيمن، ثم شده في وسط الإمام علي (رضي الله عنه) وعقده أول عقدة وقال:

الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله على التحقيق والتوفيق.

ثم عقد عقدة وقال: بسم الله على اسم جبريل، ثم قفل مهر النبوة وقال: بسم الله، ثم شكل رأس الشد وقال: مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، ثم شكل رأس الشد الآخر وقال علي: ولي الله.

فعند أصحاب الفتوة يسمون ذلك مهر الشد، صم أخذ بيده المباركة تحت الشد وقال له: أتممت لك وآخيتك يا علي، ثم أخذه بيده وأجلسه على السجادة بين الصحابة والأنصار وهم جميعاً جلوس، ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): هذا يوم المؤاخاة، تآخوا اثنين اثنين، ثم ذكر من آخى بينهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الصحابة، وقال: إن المؤمنين كلهم إخوان في الدنيا.

قال: فبكى الإمام علي (رضي الله عنه) وقال: يا رسول لله أنت آخيت بين الصحابة كلهم إلا أنا ما آخيتني مع أحد منهم فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): أنت يا عليّ أخي وابن عمي ووارث علومي ورفيقي في الدنيا والآخرة، وأخذ بيد علي وآخاه، ثم ألبسه عمامته على رأسه فوق التاج وجعلها تبين. ثم ألبسه (لباس الفتوة) أي خرقة الخلافة، ثم أجلسه على السجادة وأولاه الخلافة. ثم قال: يا علي هكذا افعل أنت بخليفتك في المحفل.

فعند ذلك قام الإمام علي (رضي الله عنه) وصلى قدام النبي (صلى الله عليه وسلم) 17 ركعة، ثم قام في الحال وأخذ الشد وشد به وسط 17 رجلاً من الصحابة والأنصار، فأولهم سلمان الفارسي (رضي الله عنه) شده وأجازه، (وعدد الباقين)

وذكر من ينسب إليهم من أهل الصناعات، والباقون ينسبون لسلمان الفارسي وهو شدهم، وعمادهم.

قال الشيخ محمد الرضا بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ولما كمل الشد والعهد في حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة: 7]، ففرح الإمام (رضي الله عنه) وقال: الحمد الله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا علي هذا الشد والعهد فائت باللقمة فقام الإمام علي (رضي الله عنه) ودخل الخيمة، وأخرج تمراً وسمناً ووضعه بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) فعركه النبي (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة بعضه في بعض، وفرق ذلك على الأنصار والمهاجرين، وعلى من كان حاضراً في ذلك المحفل.

ثم قال النبي(صلى الله عليه وسلم): هنيئاً لك يا علي أصبحت مولى كل مولى، ومولى كل ممن ومؤمنة، وجلس الإمام علي في خيمة النعمان بن الحارث فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) الصحابة أن يدخلوا على الإمام علي (رضي الله عنه) واحداً بعد واحد يهنئونه بالفتوة، فقام الصحابة والأنصار ودخلوا على الإمام علي (رضي الله عنه) وهنؤوه، وكل من دخل إليه وهنأه أعطاه النبي(صلى الله عليه وسلم) لقمة.

فصار هذا سبب حلوى العهد والشد وما بقي وضعه النبي (صلى الله عليه وسلم) في علبة، أعطاها لسلمان الفارسي وأمره أن يذهب بها إلى المدينة فأخذه سلمان وسار بها حتى دخل المدينة، وأعطاها للحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء (رضي الله عنه) وكان سلمان (رضي الله عنه) يعمل ذلك الشد تعظيماً لمحفل النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك يفعل المشايخ وأهل الطرق وينقلون الحلوى من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان.

هكذا يروون الأخبار، ولم يعرف لها أصل سوى البيعة المعروفة.

الطريقة والبساط

إن ما يترتب على الشيخ يشترط فيه أن يكون متكلماً بالشريعة والحقيقة والطريقة والمعرفة.

وأول مرشد جبرائيل، وشدته الملائكة المقربون، وثانيهما محمد (صلى الله عليه وسلم) وشده جبريل والثالث علي بن أبي طالب، والرابع سلمان الفارسي، والحسن والحسين شدهما سلمان أو سلمان هذا أبوهما في الشد والعهد، عندهم الشد لعلي (رضي الله عنه) واليد للنبي؛ لأن النبي بايع، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح: 10].

والشد على قسمين: فوقاني جبريل في السماء، والشد التحتاني علي أبن أبي طالب في الأرض.

وأما أركان الطريق عندهم فإنها أربعة شريعة وطريقة ومعرفة وحقيقة، وأحرفها أربعة: جبريل وهجاؤه (ت) وميكائيل وهجاؤه (م) والحسين وهجاؤه (هـ) والرابع للحسن وهجاؤه (ن) ويريدون بهذه أصحاب البساط وصفاتهم، ورأس البساط تقوى الله، ووسطه حرمة الأستاذ وجوف البساط الخشوع بين أهل الطريق، ورجلا البساط الأدب في حضرة الأستاذ والاحتشام والامتثال للمسلمين، وفرضه الأستاذ المتكلم بالشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة وسنته الاعتقاد (بالاختيارية) أصحاب الطريق وعلى كل من كان صاحب البساط أن يكون متمسكاً بهذه الطريقة.

ومن فك الشد ونقض العهد فعليه الغضب من الله تعالى، ولا يجوز التهاون بالشد والعهد، فمن استهان به وازدراه جعله الله حقيراً في أعين الناس، ومن حفظه وعظمه رزقه الله البركة والحاج والقبول وإن المرء عندهم يجب أن يقدم إلى (ميدان

علي) ويجتاز للوصول ثلاثة جسور الأول الهوى حيثما كان أجيراً في الخدم وتلك الصنعة، والثاني القوى، والثالث اللواء حينما جلس على البساط بإذن أستاذه ورضا (الاختيارية).

وهناك نصائح يحفظونها بطريق السؤال والجواب لترسخ في الأذهان، وكلها مفيدة من جهة، وفيها بيان مقام الشيخ ودرجة الارتباط به فهو الكل في الكل، وطاعته هي المطلوبة أولاً وبالذات، وما المراسيم إلا أشكال ظاهرية مؤيدة لهذا الارتباط، والشيخ عندهم يسمى (البير).

وهذه الطريقة تعلم سلوكاً إسلامياً ممزوجاً بتشيع، وبذكر مطالب كثيرة يطرح بينهم كلمة للإمام علي بقصد تنبيه الأفكار إليه، مثل قوله: كيف دخلت ميدان علي وكيف خرجت؟ فالجواب دخلت تراب، وخرجت برضا الملك الوهاب ونفس أستاذي والأصحاب والأحباب، ويؤمر بترك الفواحش والحسد، وبالتواضع والخشوع والزهد والعزلة عن المحارم والتقوى، وترك الشهوات واجتناب المحرمات.

وعندهم أركان الشد: الجلوس بالمعرفة، والأدب بالامتثال.

ومما يقرأ عندهم:

لي خمسة أرتجيها	وأترك الروح فيها
محمد وعليّ	وفاطمة وبنيها "[78]

ومثله:

لي خمسة أطفي بهم	نار الوباء الحاطمه
محمد والمرتضى	وابنيهما وفاطمه"[79]

---

[78] شعر عامي ملحون.

[79] كذا.

وللنقيب السالك مراسيم أخرى يجريها، وذلك لإدخال من رغب الدخول في الفتوة، سواء من أرباب الصنائع، أو من غيرهم، ويسمى المدرب له بـ (النقيب) ونفس الداخل بـ(المشدود)، كما أنه يحسم الدعاوى، ويجيب على الأسئلة، وبعد أن ينفضّ المجلس يرفع سجادة الشيخ.

هذه خلاصة مشتملة على العهد والشد، والطريق، وما يلزم الشيخ، والنقيب، والمشدود، نقلت من رسالة كتبت في 3 صفر سنة 1281هـ.

وباقي الرسائل من هذا النوع، لا تفترق الواحدة عن الأخرى كثيراً فإنها متفقة المعنى ونزعتها واحدة، وبهذا تمكن هؤلاء من إذاعة الإبطان فأدخلوا ما أرادوا من طريق التكتم والسر.

خاتمة وصفوة

من العبث أن نثبت عبادات أو عقائد لهذه النِّحلة غير الحلول والاتحاد والتناسخ كسائر أهل الإبطان، وإنما كانوا على طريقة أهل الفتوة، فدخله الغلوّ، ومالوا إلى عقائد الغلاة، أو أنهم عينهم بلا كبير فرق، يتلون مقطوعات شعرية كثيرة في وحدة الوجود، وفي الظهور، وفي ألوهية الأشخاص ولم يخصوا الإمام علياً بالظهور وحده، وإنما لهم أدوار للظهور، ولا أعتقد أن قد بقي خفاء، أو غموض في عقائدهم، ومن الغلط أن ننسبهم إلى عقيدة قديمة، إنما دخلهم الغلوّ من الإسحاقية، وهي معروفة في التاريخ.

كانت جارية على مجرى الفتوة، ثم دخلها ما دخلها، ولا تفترق عن الأخية بوجه، بل عرفت بأشهر وصف بها (الكاكائية)، والطريقة لا يعرف بالضبط تاريخ دخول النِّحلة الإسحاقية فيها، ولا شك أن الزمن كفيل بالكشف عن هذه الطريقة وتاريخها عندهم، وأصلها السهروردية، وكانت مثلها (الطريقة الصفوية) فافترقت عنها برؤسائها، وإدارتها، والتقارب مشهود قطعاً، جرى تعديل فيها، والحق أن السهروردية معروفة في بلاد الكرد قديماً يرجع تاريخها إلى أيام الشيخ عمر السهروردي، فتحول وضعها، إن لم تختلف أصولها الرئيسية.

ولما كان التكتم يحوطها، ولم يظهر الكاكائية مؤلفاتهم، ولم يعرفوا بتاريخ نحلتهم، ولا أصول طريقتهم فالشبهات تحوم، والتحقيقات يقطع بها من جهة، ويشتبه بها من أخرى.

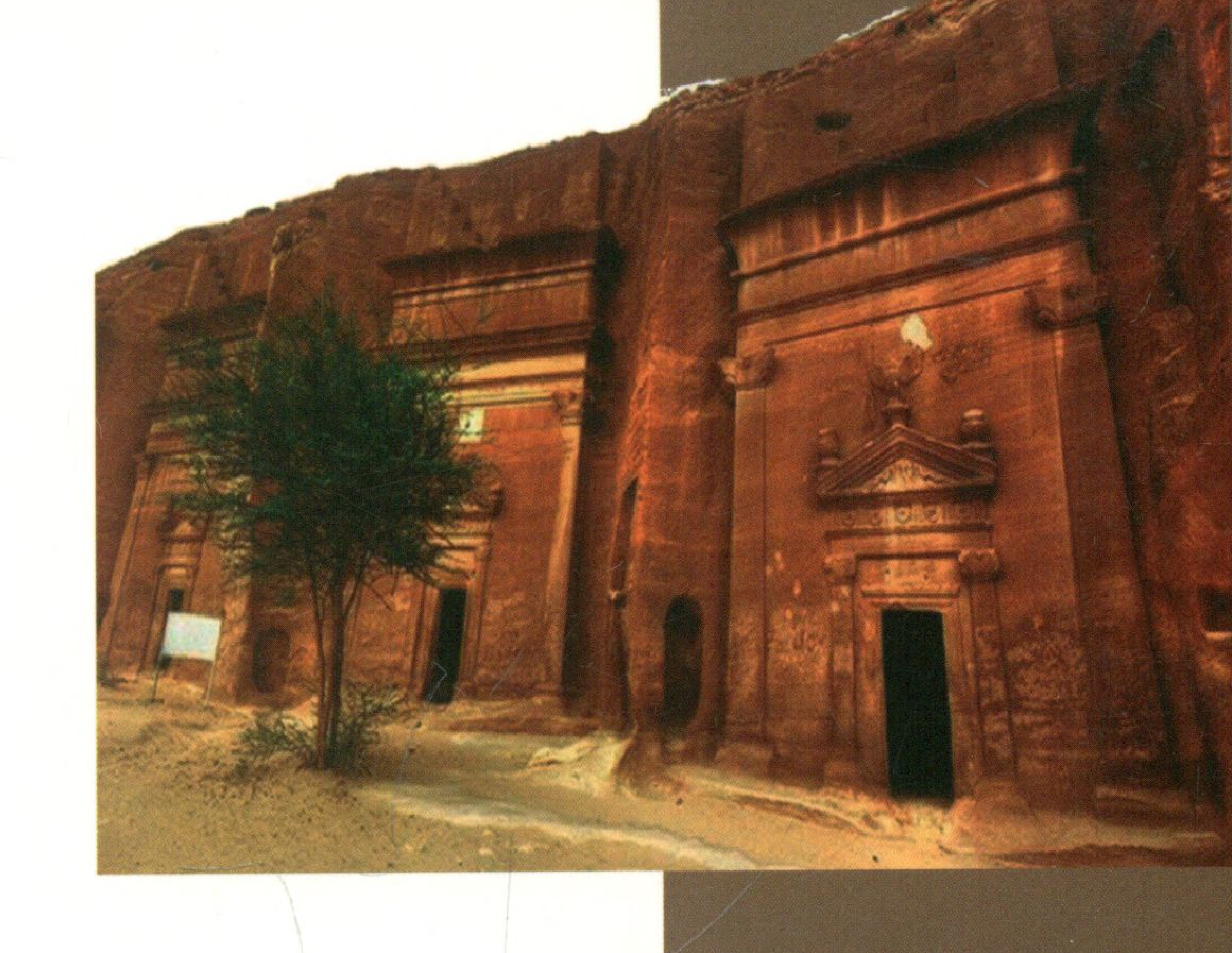
يتكتمون في كل ما يستنكره المجاورون أو يرونه شاذاً، ويوضح عقائدهم الصوفية (العشق الصوفي) وأوصاف الجمال، ونعوت (الجلال) والأمل أن يوضح

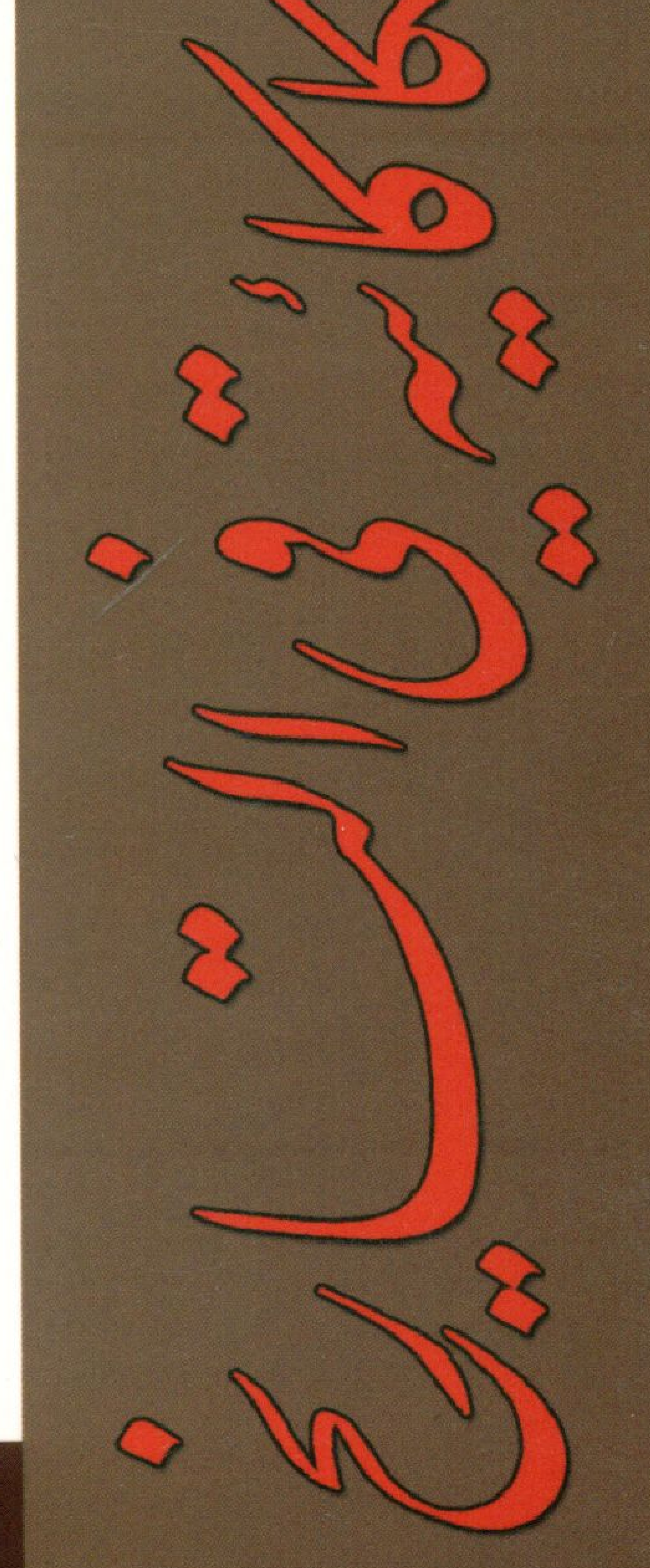
أبنـاء هـذه الطريقـة وجهـة نظـرهم في هـذا النـوع مـن التـصوف كـما نرجـو أن ينـال هـذا البحث من التمحيص ما يستحقه لتتكامل المعرفة.

أقـف عنـد هـذا، والـزمن كفيـل بتوضـيح الحالـة أكثـر، وإن هـذه تجربـة أولى، وإني لا أتـردد في قبـول مـا يـرد مـن نـصوص قطعيـة ووثـائق صـحيحة في الكـشف لأبـادر في إصلاح ما ذكرت، ولا أتطلب سوى المعرفة الحقة.

هذا والله ولي الأمر.

الفهرس





العقائد غريزية، لا تخلو أمة من دين وعقيدة وضروب العبادات المشهودة والرسوم الدينية في مختلف الأدوار والأقطار ظواهر تنبئ عن مكنون الفطرة، وميلها النفسي، وتصور حاجة الانقياد والإذعان للقدرة الخالقة.

ويهمنا كثيراً أن نتطلع إلى ما أظهرته الأمم والأقوام من شعور، وما كشفته عن مكنون الغرائز , وهناك نشاهد تدخلات من الزعماء ورؤساء الدين في تسيير الجماعات استفادة من هذه الغريزة وتوجيهها أو استغلالاً لما ظهر في رجالهم من الكمال، فاتخذوهم قدوة أو طريقاً مقبولاً في سلوكهم، بل مالوا إلى عبادة أشخاصهم، فصار ذلك ديناً، استولى عليهم الحب والإعجاب بهم، ثم وقفوا عندهم، فنسوا أصل العقيدة، أو غفلوا عنها، فصار الحب ديناً.

وجهودنا مصروفة إلى معرفة ما في قطرنا من عقائد وأديان وطرق، وإلى تصوير هذا الشعور، وتعيين أوضاعه وإبداء أشكاله؛ ليكون أقرب إلى تفهمنا بتدوين الظواهر ممن هم أكثر اتصالاً بنا دون أن نعرف جميع ما هنالك من عقائد الأمم والأقوام، بل قد يكون ذلك غير متيسر، أو صعباً جداً.

تطلب في جمهورية العراق - بابل الحلة
المركز الثقافي للطباعة والنشر

Mob: 07801168410
Mob: 07721472444
E-mail:w_alsawaf@yahoo.com

ISBN 978-9933-543-05-1

